

ذكريات ومشاهدات في القريتين

(*) (١٣٧٩ - ١٣٩٦ هـ / ١٩٥٩ - ١٩٧٦ م)

أ. د. غيثان بن علي بن جريس

(*) دراسة منشورة في كتاب: بلاد بني شهر وبني عمرو خلال القرنين (١٣ - ١٤ هـ

/ ١٩ - ٢٠ م)، لغيثان بن جريس (الطبعة الرابعة) (الرياض: مطابع الحميضي،

١٤٤١ هـ/ ٢٠٢٠ م)، ص ص ٤٣٩ - ٤٧٠. منشورة أيضاً في كتاب: القول

المكتوب في تاريخ الجنوب، (الجزء الرابع عشر) (الطبعان الأولى والثانية)،

(١٤٤٠، ١٤٤٢ هـ/ ٢٠١٨، ٢٠٢٠ م)، ص ص ٤٠٨ - ٤٣٨.

١٠

القسم العاشر ←

ذكريات ومشاهدات
في القريتين(١٣٧٩-١٣٩٦هـ/١٩٥٩-١٩٧٦م)^(١)

(١) دراسة منشورة في كتاب: القول المكتوب في تاريخ الجنوب (أجزاء من الحجاز واليمن وما بينهما) (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٤٠هـ/٢٠١٨م)، (الجزء الرابع عشر) ص ٤٠٨-٤٢٨.

ذكريات ومشاهدات في القريتين (١٣٧٩-١٣٩٦هـ / ١٩٥٩-١٩٧٦م)

م	الموضوع	الصفحة
١-	مدخل	٤٤٠
٢-	القريتان: تسميتهما، وجغرافيتهما	٤٤١
٣-	حياة الناس الاجتماعية في القريتين وما حولهما	٤٤٢
٤-	اقتصاديات الناس	٤٥٢
٥-	العلم والتعليم، والفكر والثقافة	٤٦٢
٦-	خلاصة القول	٤٦٩

١- مدخل:

في هذا المحور أدون بعض الصور التاريخية الحضارية التي عشتها وشاهدتها مدة سبع عشرة سنة (١٣٧٩-١٣٩٦هـ/١٩٥٩-١٩٧٦م) في قريتين متواضعتين في بلاد بني شهر وبني عمرو بمحافظة النماص^(١). وهاتان القريتان هما: قرية آل مقبول في بلاد بني عمرو السروية^(٢). وهي قرية والدتي رحمة بنت محمد بن سعيد بن زارع العمري^(٣). وقرية آل رزيق في سروات بلاد بني شهر^(٤)، وهي قرية والدي علي بن عبد الله بن جريس الثوابي الجبيري الشهري الحجري الأزدي^(٥).

- (١) للمزيد عن تاريخ وحضارة بلاد بني شهر وبني عمرو انظر: غيثان بن علي بن جريس . بلاد بني شهر وبني عمرو خلال القرنين (١٤٠٣هـ/١٩٠٩م) . (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٢٤هـ/٢٠١٣م) (الطبعة الثالثة) (٥٥٦صفحة) . للمؤلف نفسه . دراسات في تاريخ وحضارة جنوبي البلاد السعودية (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٢٤هـ/٢٠١٣م) (الجزءان الأول والثاني)، ص ٩٩-١٧٨ .
- (٢) بلاد بني عمرو واسعة الأرجاء وتتكون من عشرات القرى والعشائر في الأجزاء السروية، والتهامية، والشرقية البدوية. وهذه البلاد جديرة بالبحث والدراسة .
- (٣) والدتي رحمة (رحمها الله) ماتت عام (١٤٢٢هـ/٢٠١١م) وعمرها آنذاك حوالي المئة عام .
- (٤) بلاد بني شهر أكثر اتساعاً من بلاد بني عمرو، والبلاد الشهرية والعمرية متشابهة في التضاريس والتركيبة السكانية .
- (٥) والدي علي (رحمه الله) توفي عام (١٣٩٧هـ/١٩٧٧م)، وعمره آنذاك حوالي الثمانين عاماً . وجميع العشائر في بلاد بني شهر وبني عمرو، بل في البلاد الممتدة من شمال حاضرة أبها إلى بلاد غامد وزهران قبائل أزدية قحطانية . وربما وجد في هذه البلاد بعض الأسر أو القرى أو الفخود الصغيرة التي تنسب إلى القبائل المضربية العدنانية . وأقول إن تاريخ التركيبة السكانية في هذه البلاد جديرة بالبحث والدراسة، ونأمل أن نرى من الباحثين الجادين من يدرسها في هيئة بحوث علمية موثقة .

٢. القريتان : تسميتهما، وجغرافيتهما :

القريتان (آل مقبول، وآل زريق) تقعان إلى الشمال من مدينة النماص الأولى (آل مقبول) بحوالي (٧-٨ كم)، والثانية (آل زريق) من (٣ - ٤ كم). وكلتاهما على الطريق الجبلي الرئيسي الذي يربط أبها وبلاد عسير مع سروات الباحة فالطائف^(١).

ولا نعرف سبب تسمية هاتين القريتين باسمي (آل مقبول، وآل زريق)، لكن في اعتقادي أن هذه التسمية جاءت من أسماء أعلام (رجال) الأول مقبول فسميت به القرية (آل مقبول). ورزيق أو رزق فسميت به قرية آل زريق^(٢).

وتقعان القريتان على تل متوسط الارتفاع، والمسافة بين القريتين حوالي (٣-٤ كم). والأولى (آل مقبول) عمرية تنتسب في عشيرة بني كريم، وهذه العشيرة تتكون من عدد من القرى مثل: آل مقبول، وآل سكوت، وهي القرية التي يقطنها شيخ القبيلة، وقرى آل غيهب، وآل غوالة، وآل ساعد، وآل هلالة، وآل ذي المظر. وجميع هذه القرى سرورية وقريبة من الطريق الدولي الذي يخرج من أبها إلى النماص إلى الطائف. وعشيرة بني كريم لها بعض البوادي شرق السروات، ولها فروع وحلال (ومفردها حلة) في منطقة الأصدار^(٣).

أما قرية آل زريق فهي قرية شهرية، وتندرج تحت مظلة عشيرة بني جبير. وهذه العشيرة تتكون من عدد من القرى، هي: آل زريق، وآل معوطة، والخاضرة وتتفرع إلى فرعين هما: الحذب، وشوكان. وفي قرية الخاضرة يوجد منزل شيخ القبيلة، ولهذه

(١) هذا الطريق قديم، فهناك مصادر ووثائق تذكر استخدامه من قبل التجار والمسافرين خلال القرون الثلاثة الماضية. وقد سافرت فيه من النماص إلى أبها والطائف خلال التسعينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م)، وكان وقتها طريقاً ضيقاً ووعراً. ومنذ التسعينيات أجري عليه الكثير من الإصلاحات والتوسعات حتى أصبح اليوم (١٤٣٩هـ/٢٠١٨م) طريقاً مزدوجاً ذا مسارات عديدة من أبها وخميس مشيط إلى النماص والباحة والطائف. وهذا الطريق يستحق أن يدرس في هيئة كتاب أو رسالة علمية.

(٢) لقد بذلت بعض الجهود لمعرفة أسباب تسمية هاتين القريتين، وهناك بعض كبار السن، الذين تجاوزت أعمارهم المئة عام، رجحوا لي الأقوال التي أشرت إليها في المتن، وأنا أميل إلى حد ما مع هذا الرأي. ومن يتجول في عموم بلاد تهامة والسراة فإنه سيجد آلاف القرى التي سميت بأسماء أشخاص ذكور أو إناث، أو معالم جغرافية (جبل، أو وادي، أو هضبة، أو شعب، أو مورد ماء)، وبعض البلدات سميت بأسماء أحداث اجتماعية، أو سياسية، أو حربية، وهناك قرى عرفت بأسماء أسواق أسبوعية، أو محطات تجارية، ومواضع سميت بأسماء بعض الأشجار، أو الحيوانات، أو الطيور، أو الأسر، أو العشيرة، أو القبيلة وغيرها. وأقول إن تاريخ تسمية القرى والمواضع في بلاد تهامة والسراة من الموضوعات الجديدة والكبيرة وتستحق أن تدرس في عشرات البحوث والرسائل العلمية.

(٣) هذه التركيبة الجغرافية والسكانية التي ذكرناها عن قرية آل مقبول وعشيرة بني كريم تتشابه مع القرى والعشائر التي تستوطن بلاد السروات من نجران إلى الطائف. وتاريخ الناس في هذه البلاد جدير بالبحث والدراسة في عدد من الدراسات العلمية.

العشيرة (بني جبير) بعض المواضع في منطقة الأصدار في سفوح السروات الغربية^(١). ونجد قرية آل رزيق الشهرية مجاورة تماما لبعض القرى العمرية من جهة الجنوب، كما نشاهد قرى عشيرة بني كريم التي تنتمي لها قرية آل مقبول مجاورة لقرى ومواضع شهرية عديدة^(٢).

وجغرافية القريتين (آل مقبول، وآل رزيق) متشابهة من حيث التضاريس، فالمزارع تحيط بها من كل جانب، ويوجد في بلادها بعض الجبال المتوسطة الارتفاع، ولها هضاب وتلال يكثر فيها شجر الطلح، والعرعر، والعتم، والشث، وشجيرات أخرى عديدة. كما أن مناخها في الصيف معتدل، وفي الشتاء بارد، ويوجد الضباب في أرضها، ويشتد أحيانا حتى تنعدم الرؤية والسير في طرقاتها^(٣).

٣. حياة الناس الاجتماعية في القريتين وما حولهما :

تتكون القريتين من (لحام)^(٤) عديدة، فقريّة آل مقبول تقريبا سبع لحام، هي: (١) آل سعيد بن زارع، ومنهم: آل جراد، أجداد الباحث المباشرين، وآل المثرمد، والأفل وإخوانه، وآل قذقي (٢) آل عمرة. (٣) آل علي بن جابر. (٤) آل عراء أو آل شواط. (٥) آل مليص. (٦) آل مفرح. (٧) آل يح. وهذه اللحام تتكون من أسر عديدة، وأفرادها يدخلون في خانة المئات ذكورا

(١) الذاهب في بلاد السروات من أبها إلى الطائف يجد معظم القرى وأماكن الاستيطان في هذه البلاد متشابهة في جغرافيتها وتركبتها السكانية. وهذا الموضوع جدير بالدراسة والبحث الموثق. كما يوجد لدى الباحث عشرات الوثائق التي يعود تاريخها إلى القرون الثلاثة الماضية، وفيها مادة تاريخية تفصل الحديث عن قرى وعشائر السروات وتهامه الممتدة من جازان وعسير إلى مكة والطائف. ونأمل أن نخرجها في بحوث ودراسات علمية.

(٢) بلاد بني شهر وبني عمرو السروية من مدينة النماص حتى أرض حلباء شمال المحافظة متداخلة في قراها، ومزارعها، وعشائرها. ومن الصعب أحيانا تمييز القرى القاطنة في هذا المكان، فهناك قرى تنقسم إلى فرعين شهري وآخر عمري. وكذلك المزارع، والجبال، والأحمية، والأودية فهي مترابطة ومتشابكة مع بعضها البعض. كما أن عامل النسب والمصاهرة زاد هذا الترابط والتلاحم قوة وتماسكا. للمزيد انظر: غيثان بن جريس. بلاد بني شهر وبني عمرو. (الطبعة الثالثة، ١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م)، ص ٢١ وما بعدها.

(٣) عشنا في هاتين القريتين خلال العقدين الأخيرين من القرن (١٤هـ/٢٠م). فكانتا مكتظتين بالسكان المتعاونين المترابطين في جميع أنشطتهم اليومية. ويأتي عليهم حوالي (٤-٥) شهور في السنة يشد فيها البرد، وتتنزل الأمطار، ويغطي الضباب جميع أنحاء البلاد. واليوم (١٤٤٠هـ/٢٠١٩م) تطور الناس في منازلهم ومصادر عيشهم، وصار معظمهم يغادرون القرى أوقات البرد، فيذهبون إلى المناطق التهامية، أو إلى بعض المدن الكبيرة في المملكة العربية السعودية مثل جدة، ومكة المكرمة، وجازان، والقنفذة وغيرها. وأقول إن إجراء مقارنة عن حياة الناس في الماضي والحاضر في هاتين القريتين وعن قرى السروات من أبها إلى الطائف من الموضوعات الجديدة، والجديرة بالبحث في عدد من الدراسات.

(٤) اللحام، مفرد لها لحمة، وهو مصطلح اجتماعي في القرى. واللحمة تتكون من عدد من الأسر ويطلق عليها هذا المصطلح، والاسم غالبا هو جد أعلى لهذه الأسر فيقال: لحمة آل فلان، وهكذا معظم القرى في جنوبي البلاد السعودية تتكون بهذه الطريقة. واليوم تغيرت أحوال الناس، وتداخل بعضهم في بعض، وتركوا أو تجاهلوا كثيرا من أعرافهم وتقاليدهم الاجتماعية والأسرية والقبلية.

وإنائاً^(١). وجميع هذه اللحام عاشت في القرية، موزعين على أرضها، وقد عاصرتهم وشاهدتهم في مواطنهم من عام (١٣٧٩-١٣٩٦هـ/١٩٥٩-١٩٧٦م)، متجاورين متعاونين متحابين^(٢).

أما قرية والدي (آل رزيق) فهي تقريباً أكبر في المساحة من قرية والدتي (آل مقبول)، وأرضها أكثر انبساطاً^(٣). وتنقسم إلى ثلاثة فروع رئيسية هي: (١) آل أمطر، وفي هذا القسم تدرج أسرة الباحث (آل جريس)، وأسرة أخرى مثل: آل ناشيئة، ومنهم آل حتات وآل سنان وآل فرحان، وآل حاوي. (٢) آل فلتان: ومن لحامهم: آل رافع، ويعرفون أيضاً بال درويش، وآل النقض، وآل عبد الله ومن أسرهم: آل هزاع، وآل مارق، وآل فائع، وآل غرم الله وغيرهم. (٣) آل الرهوة: ويسكنون شرق القرية، ومن لحامهم آل مصعب وآل دلي ومن أسرهم: آل صوان، وآل عائض، وآل ماكر، وآل الصقر، وآل شربة وغيرها^(٤).

ويتكون البيت الواحد في كل قرية من أسرة كبيرة، ويكون الجد أو الأب هو المسؤول عن جميع أفراد الأسرة، ولا يقيم أي نشاط أو تصرف من أي فرد إلا بعد عرضه على كبير الأسرة، وله القرار في الموافقة أو الرفض. وجميع أفراد العائلة الواحدة. الأجداد، إذا كانوا على قيد الحياة، والآباء وأبنائهم وبناتهم يعيشون في منزل واحد وجميعهم متعاونون في كسب أرزاقهم، وممارسة حياتهم اليومية في الرعي، والزراعة وغيرها^(٥).

(١) هذا ما عرفته وسمعتة من خالي وجد أولادي عبد الله بن محمد بن سعيد بن زارع، وعمره في التسعين، في مدينة أبها يوم الخميس (١٤٣٩/٤/٢٤هـ الموافق ١١/يناير/٢٠١٨م). وانتقل إلى الدار الآخرة في (١٤٣٩/٧/٢٥هـ) (رحمه الله تعالى) كما أنني أعرف اليوم أغلبهم، فأزورهم في منازلهم، وأحضر مناسباتهم، وألتقي بهم في مجالسهم العامة والخاصة، فهم أخوالي وعشيرة والدتي (رحمها الله).

(٢) نعم عشت مع والدتي في قرية آل مقبول منذ ولادتي عام (١٣٧٩هـ/١٩٥٩م) حتى عام (١٣٨٤هـ/١٩٦٣م)، ثم ذهبت إلى منزل والدي في قرية آل رزيق، وبقيت عنده حتى حصلت على الثانوية العامة عام (١٣٩٦هـ/١٩٧٦م)، ثم سافرت إلى أبها، ثم أمريكا، ثم بريطانيا، ثم أبها من عام (١٣٩٦هـ/١٩٧٦م) - (٢٠١٨م). وكنت دائماً أتردد على قرية والدتي خلال الفترة من (١٣٨٤هـ/١٩٦٤-١٩٧٦م). والتقي بأهل القرية، وأشاهد حياتهم ونشاطاتهم المختلفة، بل تزوجت زوجتي الأولى من عندهم، وهي بنت خالي عبد الله المذكور في حاشية سابقة.

(٣) كما ذكرنا سابقاً القرية تقعان على هضبة قليلة الارتفاع، لكن تضاريس قرية والدتي أكثر وعورة، ولها أرقعة ضيقة، وبيوتها شديدة التلاصق. والوضع نفسه في قرية والدي لكن أرضها أكثر اتساعاً وانبساطاً. بل أرض عشيرة بني جبير ذات موقع استراتيجي، فأرضها متوسطة وغنية بمياهها ومزارعها، ويطلق عليها اسم (بلاد رديحة) لجودة موقعها.

(٤) هذا ما عرفته، وشاهدته وسمعتة من بعض كبار السن في القرية مثل والدي (علي بن جريس) رحمه الله، وغيره من أعيان ووجهاء القرية. وأقول إن هذه التقسيمات التي أشرت إليها في القريتين (آل مقبول، وآل رزيق) هي التقسيمات نفسها الموجودة في كل قرية أو بلدة من بلاد تهامة والسراة. وتاريخ توزيع القرى وسكانها من الموضوعات الجديدة التي تستحق أن تدرس في عشرات البحوث.

(٥) هكذا كانت حياة الناس في قرأتي آل مقبول وآل رزيق، وفي جميع القرى في بلاد تهامة والسراة خلال العقود الأخيرة من القرن (٢٠هـ/٢٠م). والحياة الاقتصادية آنذاك متواضعة، وأعمالهم الرئيسية جمع الحطب، والصيد، والرعي، والزراعة. ونادراً من يعمل في التجارة، وإذا كان بعض أبناء القرى

وجميع منازل القريتين مبنية بالحجارة والطين، ومعظم البيوت تتكون من طابق أو طابقين. وأحياناً يكون المنزل من غرفة أو غرفتين أو ثلاثة. ومساحة الغرفة الواحدة تتراوح من (٢×٢) إلى (٦×٤)^(١). ويوضع في الطابق الأسفل، أو بعض الغرف أعلاف البهائم، أو البهائم نفسها (الحمير، والأبقار، والأغنام)، والطابق العلوي للنوم والطعام. وأحياناً يشترك الطابقان في مهن طهي الطعام والنوم. وبعض المقتدرين مادياً يبنون بعض الملاحق قريباً من المنزل الرئيسي، وهذه الملاحق تستخدم أحياناً في النوم، وقد يخزن فيها بعض الأمتعة، مثل: الحبوب، وأدوات الزراعة والري وغيرها، وقد تخصص سكناً لبعض المواشي. وعند معظم المنازل عيش مبنية من القش توضع فيها المواشي، وفي نهاية القرن (١٤هـ/٢٠م) بدأت بعض الأسر تؤسس حمامات ضمن ملاحق المنزل^(٢). وفي قرية آل رزيق حصنان لخزن الحبوب، الأول عام لجميع أسر القرية، وتخصص غرف لكل أسرة تخزن فيها حبوبها، وقد شاهدت غرف ذلك الحصن، فهي صغيرة لا تزيد عن (٢×٢) م، ومازال هذا الحصن قائماً، ويجب على أفراد القرية أن يحافظوا عليه، ويرعوه بالصيانة والترميم^(٣). أما الحصن الآخر، وهو أصغر من الأول^(٤). فهو خاص، والذي بناه والدي (علي بن جريس)، ويستخدم لخزن الحبوب، والطابق السفلي سكناً لبعض المواشي. ومازال هذا الحصن قائماً، ويحتاج فعلاً إلى صيانة وترميم^(٥).

ويعتمد بناء البيوت ومرافقها حتى نهاية القرن الهجري الماضي على أبناء القرية. فالباني وجميع الأيدي العاملة من القرية، أو من بعض القرى المجاورة^(٦). وعادة يعمل الباني بالأجرة اليومية التي كانت تتراوح خلال التسعينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م)

قد التحقوا ببعض الوظائف الحكومية، فمازالوا قليلين، ولا يأتون قراهم إلا في أوقات متباعدة، وغالباً تكون بالسنوات.

- (١) هناك غرف أكبر وأصغر مما ذكرنا لكنها قليلة، ولا تخرج مساحتها عن (٢×٢) م أو (٤×٢) م، وقد تكون بعض الغرف أكبر قليلاً.
- (٢) لم يكن هناك حمامات في القريتين حتى التسعينيات، حيث بدأت بعض الأسر تنشئ حمامات متواضعة ضمن مرافق المنزل. المصدر: مشاهدات الباحث (١٢٧٩ - ١٢٩٦هـ).
- (٣) نعم الحصن مازال قائماً، ويظهر عليه علامات التصدع، ويحتاج إلى صيانة وترميم.
- (٤) عدد طوابق الحصن الأول خمسة، ومساحة البناء أقل، وقد يصل ارتفاعه إلى عشرين متراً.
- (٥) هذا الحصن من أملاك والدي، وهو الذي شيده، وبعد تقسيم تركة الوالد أصبح من نصيب أخي محمد بن علي بن جريس (يرحمه الله)، وأمل من أولاد أخي محمد أن يهتموا بهذا الحصن، الذي مازال في وضع جيد، لكنه يحتاج إلى صيانة وترميم.
- (٦) شاهدت في قرية والدي خلال التسعينيات من القرن الهجري الماضي بنائين جيدين هما: حمود بن غرمان، ومحمد بن هزاع، الأول من أسرة آل ناشيئة، وهذه الأسرة وأسرته والدي يعودون في فرع آل أمطر. وابن هزاع من فرع آل فلتان. وكانت أجرتهما اليومية في أواخر التسعينيات أربعين ريالاً. ويوجد في بعض القرى المجاورة لآل مقبول وآل رزيق بناءون مشهورون بالجودة والالتقان. وهذا ما عرفه الباحث وشاهده.

من (٢٥-٤٠) ريالاً حسب سمعته وجودة عمله، والعمال الذين يقومون على تشذيب حجارة البناء وإصلاحها، ومساعد الباني، أو من يقوم بإعداد الطين المستخدم في عملية البناء، كانت أجرتهم تتراوح من (١٠-١٥) ريالاً يومياً.

ومواد البناء : الأحجار، والطين، والأخشاب المستخدمة في السقوف والأبواب محلية، ويتم جلبها من الجبال والأودية التابعة للقريتين . وقد شاهدت التكافل والتعاون الذي كان بين أفراد القرى، فهم الذين يجمعون الأحجار من الجبال، ويحضرونها إلى موقع البناء، وكذلك التراب (الطين) الذي يستخدم مع البناء^(١). وظاهرة التعاون كانت سائدة في مجتمعات القرى، وفي شتى المهن والحرف التي يمارسها سكان القرية^(٢).

وعند الانتهاء من بناء المنازل تقوم النساء بتجسيصها من الداخل، وغالباً يستخدم التراب مادة لتلييس جدران الغرف الداخلية . أما خارج المنزل فيبقى بدون تلييس، وفي التسعينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م)، بدأت بعض الأسر تستخدم الإسمنت الأسود في تلييس جدران المنزل من الداخل والخارج. وهناك من ترك البناء بالأحجار، وبدأ يستخدم الطوب أو البلك في البناء، وآخرون استخدموا الزنك في بناء بعض الغرف أو الملاحق الملاصقة للمنازل الرئيسية^(٣).

وهناك أبنية أخرى عديدة مثل : رصف الطرق المستخدمة بالدواب داخل القرية، أو في المزارع، وبناء جدران بعض الآبار حتى لا تسقط الأتربة فيها . وبعض اللحام أو الأسر تبني أسواراً على مزارعها أو أملاكها الخاصة، وأحياناً يقوم أفراد القرية ببناء أسوار على أملاكها المشاعة مثل الأحمية في الجبال والأودية. ومعظم الأسر في القريتين بنوا أسواراً متوسطة الارتفاع حول منازلهم ثم وضعوا فوقها بعض أغصان الطلح أو الأشجار الأخرى حتى تحمي المنزل من بعض الحيوانات أو السباع المفترسة . وكانوا حريصين على بناء المدرجات الزراعية التي تحفظ تربة مزارعهم، وتحدد معالمها^(٤).

(١) هذا ما شاهده الباحث في قرتي آل مقبول وآل رزيق وجميع قرى محافظة النماص خلال العقود الأخيرة من القرن (١٤هـ/٢٠م) .

(٢) نعم كان الناس متحابين متعاونين في ممارسة أعمالهم الاجتماعية والاقتصادية . وقليل من يعمل بالأجرة، وإنما تراهم يساعدون بعضهم البعض في بناء منازلهم وزراعة بلادهم وغيرها .

(٣) تطور العمارة في محافظة النماص أو في بلاد السروات منذ ثمانينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) إلى عشرينيات القرن (١٥هـ/٢٠م) موضوع جديد لم يدرس، حبذا أن نرى باحثاً جاداً يدرس هذا التطور في مواد البناء، والأيدي العاملة، ونماذج العمران، ودور أهل البلاد في هذا التطور، ثم وفود الأيدي العاملة الخارجية التي أصبحت هي القائمة على مهنة البناء والتشييد في البلاد .

(٤) من يزور اليوم هاتين القريتين المذكورتين في هذا المحور، أو القرى القديمة المتناثرة في بلاد السروات من نجران وظهران الجنوب إلى الطائف فإنه سوف يشاهد الكثير من هذه الأبنية مازالت ماثلة للعيان. ونأمل أن نرى باحثين جادين يدرسون تاريخ وحضارة هذه القرى التراثية في عموم جنوب البلاد السعودية.

وكان لباس وزينة أهل القريتين متواضعاً في النوع والجودة . فالرجال يلبسون الثياب البيضاء والملونة العادية، ولم يكن هناك مبالغة في اللباس لندرة الألبسة، وقلة ذات اليد عند الناس . فالرجل لا يملك أكثر من ثوبين أو ثلاثة، وكذلك ألبسة الرأس والقدم . أما الألبسة الداخلية فهي قليلة وأحياناً نادرة خلال ثمانينيات القرن (١٤هـ/٢٠م)، ثم بدأت تظهر وتزايد في التسعينيات . وألبسة النساء قليلة مثل: الثياب العادية، والاقطعة، وهناك ألبسة تلبس في المناسبات وأحياناً داخل البيت أو خارجه يطلق عليها (الكرتة)، وهي ثوب عادي، إلا أنه ضيق من الوسط . وألبسة الأطفال لا تزيد عن أثواب متعددة الأشكال للبنات والأولاد، وطاقيّة للذكور، وأحياناً منديل أصفر للبنات^(١) .

ويلبس الرجال في المناسبات الاجتماعية مثل الأعياد، أو صلاة الجمعة، أو حفلات الزواج أو استقبال الضيوف عمائم وأثواباً جديدة . وبعض كبار السن وبخاصة الشيوخ والأعيان والوجهاء والأغنياء يلبسون المشالغ، ويتوشح بعضهم بالسيوف أو الخناجر المحلاة بالفضة والذهب، كذلك نساء الأغنياء والوجهاء والشيوخ يلبسن ملابس جيدة في أنواعها وألوانها^(٢) .

وأدوات الزينة عند الرجال لبس الأحزمة مع بعض الخناجر أو السكاكين، وحمل العصا أو الفأس في اليد أثناء الخروج من البيت أو التنقل من مكان لآخر داخل القرية أو خارجها، وهناك من بدأ لبس العقال في الثمانينيات وتزايد لبسة في التسعينيات . ويلبس بعض الرجال (الكبك) في أيادي بعض الثياب، وبخاصة الرجال الذين التحقوا ببعض الوظائف العسكرية والحكومية ثم عادوا وقت الإجازات إلى قراهم^(٣) . كما لبس بعض الرجال ساعة اليد، ومنهم من لبس خواتم الفضة أو الحديد . واستخدم بعض الرجال الحناء أو الكتم لشعر الرأس أو اللحية، وتزينوا باستخدام الرياحين وبعض المواد العطرية وكذلك النساء لبسن بعض الحلبي الفضية والذهبية والنحاسية في أيديهن وآذانهن، واستخدمن الحناء، والعطور، وأطياباً أخرى عديدة، وأيضاً لبس الأطفال في الأعياد والمناسبات الثياب الجديدة^(٤) .

(١) هذه صور من الألبسة التي شاهدتها عند سكان القريتين خلال العقدين الأخيرين من القرن (١٤هـ/٢٠م) . وتاريخ اللباس في محافظة النماص أو منطقة عسير خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) من الموضوعات الجديدة والجديرة بالبحث في عدد من الدراسات .

(٢) هكذا كانت حياة الناس في أواخر القرن (١٤هـ/٢٠م)، لكنها ما زالت آنذاك متواضعة مهما توافر من الألبسة وأدوات الزينة . بعكس وقتنا الحاضر الذي بلغ عموم الناس في البستهم وزينتهم . وامتلات الأسواق بالآلاف الأنواع والأشكال من الألبسة وأدوات الزينة .

(٣) عندما بدأت الوظائف في الدولة خلال النصف الثاني من القرن (١٤هـ/٢٠م) سافر بعض أبناء القرى في السراوات من بلادهم إلى الحجاز أو الرياض أو المنطقة الشرقية، والتحقوا ببعض الوظائف وتحسنت أحوالهم المادية، وعادوا إلى بلادهم فساعدوا أسرهم في مآكلهم ومشربهم ولباسهم . وهذا الموضوع جدير بالبحث والدراسة .

(٤) عندما كنت في محافظة النماص خلال العقود الأخيرة من القرن (١٤هـ/٢٠م) شاهدت تواضع الناس في البستهم وزينتهم، لكن وضعهم الاقتصادي كان أفضل من العقود الوسطى في القرن نفسه، حيث بدأت الأقمشة بأنواعها وأدوات الزينة المختلفة تصدر إلى الأسواق الأسبوعية في منطقة النماص، بل كان

كانت جل الأطعمة في القريتين محلية من حبوب الحنطة والشعير والذرة، ومن هذه المحاصيل يصنع العديد من الأطعمة مثل: قرصان (خبز) الصاج، والملة، والميفاء^(١).
ويصنع من حبوب الذرة والحنطة العيش، والمشغوثة، والمعصوب^(٢). كما يحصل الناس على اللبن والزبد من حيواناتهم الأليفة (الأبقار، والأغنام). وفي العقدين الأخيرين من القرن (١٤هـ/٢٠م) عرف أهل القريتين بعض الأطعمة المجلوب موادها من الأسواق الأسبوعية^(٣)، وغالبا تستورد من أسواق عسير، وجازان، والحجاز وغيرها^(٤). ومن تلك الأطعمة الأرز، والتمور، وبعض الحلويات، والسكر والشاهي، والقهوة، والقشر وغيرها. ولا يوجد في القريتين مطاعم أو (بوفيهات)، وإنما يوجد فيها دكاكين محدودة تباع أنواعا عديدة من السلع، وبعض المواد الغذائية المستوردة^(٥). وفي بلدة النماص يوجد العديد من الدكاكين التي تعرض الكثير من البضائع المتنوعة مثل المواد الغذائية وغيرها، وفيها بعض الدكاكين التي تقدم بعض الأطعمة الجاهزة، كالتميس، والفل، والبيض، والشاي والحليب^(٦).

ويوجد بعض الخضروات والفواكه في مزارع القريتين مثل: البرسيم^(٧)، والبطاطس، والكوسة، والفاصوليا، والعب، والفرقس، والتفاح البلدي. كما يوجد في جبال القريتين بعض الثمار الصالحة للأكل كالزيتون البري، والنبق. ويحصل السكان على اللحوم من مواشهم، وطيور الدجاج التي يربونها في منازلهم. واللحوم غالبا

هناك بعض التجار المحليين الذين يفتحون دكاكين في قراهم ويحبون إليها سلعا عديدة يبيعونها على أفراد القرية. كما كان هناك باعة يطلق عليهم (فرقتا) يحملون بعض السلع في صندوق على رؤوسهم ويتجولون بها في القرى لبيعها على أفراد القرى.

(١) تصنع قرصان الخبز من حبوب الذرة، والحنطة، وأحيانا الشعير. وهناك عجينة يوضع على صاج حديدي ثم يقلب عدة مرات حتى ينضج. أما خبز الملة فيدخن في الرماد والجمر، ويبقى لبعض الوقت حتى ينجح. أما خبز الميفاء، فهو عجينة الحنطة الذي يلصق على جدران الميفاء المصنوع من الفخار. وما زال خبز الميفاء يعمل في بعض بيوت القريتين حتى الآن.

(٢) تصنع المشغوثة من طحين الذرة، وعند نضجها تقدم في إناء من الخشب وتغطى بالسمن والعسل. أما المعصوب فيصنع من دقيق الحنطة، ويقدم معه السمن والعسل وأحيانا اللبن والمرق.

(٣) زرت بعض الأسواق الأسبوعية في محافظة النماص في العقدين الثامن والتاسع من القرن (١٤هـ/٢٠م)، وشاهدت فيها الكثير من المواد الغذائية المحلية، والمستوردة من مدن وحواضر عديدة في المملكة العربية السعودية.

(٤) تاريخ تجارة محافظة النماص مع غيرها في مناطق تهامة والسرارة، والحجاز خلال القرون الماضية والمتأخرة من الموضوعات الجديدة، ويستحق أن يدرس في عدد من البحوث العلمية.

(٥) كان في القريتين بعض الدكاكين الصغيرة، والموجود في منازل أصحابها، مثل: دكان حسن بن صوان، ودكان محمد بن شربة في قرية آل رزيق. ودكان عبد الخالق الملقب بـ (ابن ذريبا) في قرية آل مقبول. ومثل هذه الدكاكين يبيعون بالنقد، وأحيانا بالأجل. وأذكر أن والدي ووالدي كانا يرسلاني إلى دكاكين القريتين لجلب بعض السلع مثل: الأرز، والصلصة، والشاي، والقهوة، وبعض البهارات، وسلع أخرى غير المواد الغذائية.

(٦) نعم عندما كنا ندرس المرحلتين المتوسطة والثانوية في النماص في تسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م)، يوجد في بلدة النماص دكان واحد يقدم التميس والفل والشاي، ويقوم عليه بعض العمال اليمنيين.

(٧) البرسيم عادة من أعلاف الحيوانات الأليفة، لكن صفار نبات البرسيم يؤكل طازجا، أو يطبخ ويؤتد به، وما زال بعض الناس يزرعون في مزارعهم ويأكلونه حتى اليوم.

قليلة، فلا يتم الحصول عليها إلا في المناسبات الاجتماعية كالأعياد، والزواج، والختان، واستقبال الضيوف. وفي العقد الأخير من القرن (١٤هـ/٢٠م) كان بعض أرباب الأسر يشتررون لحوماً قليلة من الأسواق الأسبوعية القريبة من القريتين^(١). ويقدمونها لأسرهم، وليس كل الناس يقدرّون على ذلك، لكن المقتردين مادياً، وبعض الأعيان والوجهاء^(٢).

ويقوم النساء بإعداد أطعمة أسرهن، وأيضاً في الاحتفالات والمناسبات الاجتماعية المختلفة، فهن اللاتي يعددن الأقراص، والعصيد، والمعصوب وغيرها. أما ولائم الذبائح والأرز فهي من اختصاص الرجال، وأحياناً يقمن عليها النساء. وربة المنزل هي التي تتولى تقديم الوجبات لأفراد أسرتهن، فتعطي كل فرد نصيبه من الخبز، وأحياناً تقدم الوجبة لأفراد العائلة الذكور في مكان، والإناث في مكان آخر وبخاصة إذا زارهم ضيف أو أحد أفراد القرية. وغالباً يجتمع أفراد الأسرة الواحدة على كل الوجبات (الإفطار، الغداء، العشاء)، وقد يكون هناك وجبة رابعة خفيفة في وقت العصر. ويتخلل تناولهم الطعام الحديث في أمورهم العامة والخاصة، ويسودهم الاحترام والأدب والتقدير لبعضهم البعض، فالكبير يلين ويرحم الصغير، والصغير يوقر ويحترم الكبير^(٣).

وتناول الطعام في المناسبات الاجتماعية العامة يكون جماعياً إذا كان معصوباً أو عصيداً، فالضيوف يقومون أولاً، ثم يليهم كبار السن في القرية، وهكذا حتى يأكل الجميع. أما تناول اللحم، فقد تقسم الذبيحة و (الذبائح) إلى قطع صغيرة، ثم يعطى كل فرد قسمه في يده، وأحياناً تجمع أقسام الضيوف في صحون ثم يتوزعون عليها، أما أبناء القرية فقد يعطون أقسامهم في أيديهم، وبعضهم يأكله في مكان الضيافة، وآخرون يحملون أقسامهم إلى بيوتهم. وهناك من كان يضع اللحم مع الأرز في صحون ثم يوزعون الضيوف حسب أعمارهم ومكانتهم الاجتماعية، وهذه العادة بدأت تنتشر بكثرة منذ تسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م)، وهي الطريقة السائدة اليوم في كل المناسبات الكبيرة والصغيرة، وفي المطاعم والمنازل العامة والخاصة^(٤).

(١) يقام سوق أسبوعي في بلدة النماص كل يوم ثلاثاء، وعرف في سروات محافظة النماص بـ(سوق الثلاثاء). وسوق آخر أسبوعي يسمى (سوق الخميس) في بلدة العرق شمال قرية آل مقبول بحوالي (٦ - ٧ كم). المصدر: مشاهدات الباحث.

(٢) يعرض في هذه الأسواق الكثير من البضائع مثل: الحبوب، وأنواع عديدة من الفواكه المستوردة، مثل: البرتقال، والموز، والتفاح، ومواد غذائية أخرى عديدة.

(٣) نعم عاصرت وشاهدت هذه العادات عند أسر القريتين منذ بداية الثمانينيات إلى تسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م)، ومع بداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، توسعت الأسر، وسافر الكثير من أفرادها، وتوفر المال في أيدي الناس، ومن ثم بدأوا لا يلتقون على الوجبة الواحدة، مع أن معظم أفراد الأسرة قد يكونوا موجودين في المنزل، لكن لم نعد نرى ذلك التآلف والتقارب أثناء تناول الطعام.

(٤) من عاصر عادات الطعام والشراب في جنوبي البلاد السعودية خلال النصف الثاني من القرن (١٤هـ/٢٠م)، ويشاهد ما جرى على هذا الميدان من تحولات اليوم، فإنه يجد الفرق كبيراً، فلم يعد هناك طبائع وأعراف قديمة تمارس، وإنما حل محلها الكثير من العادات الجديدة والغريبة أحياناً. كما فاض الخير على الناس، وأصبحو يرون ويأكلون ويشاهدون آلاف الأنواع من الأشربة والأطعمة المستوردة من داخل المملكة العربية السعودية وخارجها.

وعرف أهل القريتين بعض الألعاب الرياضية، فالرجال والشباب مارسوا الجري في الميادين القريبة من القرية، وأحياناً يتصارع بعض الشباب ويشاهدهم بعض المشاهدين، وبعضهم يتسابقون على الحمير. كما صنع شباب القريتين كرة من القماش ولعبوا بها، وهي شبيهة بلعبة كرة اليد المعروفة اليوم، وهناك من يذهب من الشباب والرجال إلى السباحة في الآبار التابعة للقرية. وفي العقد التاسع من القرن الهجري الماضي مارس بعض أبناء القريتين لعبة كرة القدم والطائرة، التي شاهدها ولعبوها في المدارس، ثم نقلوا ممارستها إلى قراهم. ومارس الشباب رياضة القفز على الحبال، أو القفز من مكان عال^(١). وكان للنساء رياضات خاصة بهن، مثل الجري، واللعب بالحصى (الحجارة)، ومارس بعض النساء والبنات السباحة في الآبار والغدران^(٢).

وهناك فنون شعبية عديدة عرفها سكان القريتين، مثل: اللعب الذي يمارسه النساء والرجال مع ضرب الطبول، ويمارس هذا الفن في الأعياد، ومناسبات الزواج، والختان، وأحياناً استقبال المسافرين، أو استقبال الضيوف، أو السماوة^(٣). كما مارس الرجال العرضة الشعبية، وهناك من يجيد ضرب الطبول، ونفخ المزمار. وكنت أشاهد الكثير من المناسبات في القريتين ويشارك فيها الكثير من اللاعبين قولاً وعملاً^(٤).

ومن عادات القريتين الزواج، فالأسر عندما ترغب تزويج أبنائها تبحث لهم عن عرائس في محيط القرية أو القرى المجاورة، وعند تحديد أسرة أو فتاة معينة يبدأ أهل العريس بإجراء بعض الترتيبات مثل إخبار كبير أسرة الشاب، والاتصال بأهله أو إحدى قريبات الفتاة وإخبارها برغبة خطبة المرأة الفلانية للرجل الفلاني، يلي ذلك التواصل بين أولياء الأمور للعريس والعروسة، وعند الاتفاق بين الأسرتين، يتبع ذلك مراسيم الزواج. وكان هناك من يفضل عدم المبالغة في حفلة الزواج، فلا يخرج عن الحفلات

(١) تاريخ الرياضة في بلاد السراة خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) موضوع جديد ويستحق أن يدرس في هيئة كتاب أو رسالة علمية موثقة.

(٢) كان الرجال والنساء حتى نهاية القرن (١٤هـ/٢٠م) يشتركون في أعمال عديدة اقتصادية واجتماعية. وبعض الرياضات التي كان يمارسها الرجال، وكان النساء أيضاً يمارسها مثل السباحة وغيرها. وأقول إن تاريخ الرياضات في منطقة عسير خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) من الموضوعات الجديدة ويستحق أن يدرس في هيئة كتاب أو بحث علمي.

(٣) للمزيد عن هذه العادات والفنون انظر: غيثان بن جريس. دراسة تاريخية في الحياة الاجتماعية والاقتصادية (١١٠٠-١٤٠٠هـ/١٦٨٨-١٩٨٠م). (جدة: دار البلاد للطباعة والنشر، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م)، ص ٩٩ وما بعدها.

(٤) نعم اشتهر في القريتين بعض النساء والرجال الذين كانوا يجيدون حركات وأنغام اللعب الشعبي، وهناك من كان يحفظ بعض القصائد والأغاني التي تقال أثناء ممارسة هذه الفنون. وأقول إن تاريخ الفنون الشعبية في محافظة النماص أو منطقة عسير من الموضوعات المهمة والجديرة بالبحث والدراسة.

العائلية المتواضعة التي يشارك فيها أقارب أسرتي الزوج والزوجة^(١). وقد عاصرت في أواخر القرن (١٤هـ/٢٠م) بعض مناسبات الزواج التي يشترك فيها أبناء القرية وأحياناً أبناء عشيرة الزوج، ويستقبلهم معظم أفراد القرية أو العشيرة التي تنتمي لها الزوجة، ويواكب تلك اللقاءات تقديم الولائم الكبيرة، وضرب الطبول، وممارسة العديد من الرقصات الشعبية^(٢). والمهور غالباً عند أفراد القريتين وما جاورهم من القرى والعشائر تتراوح من (٥,٠٠٠ و ١٠,٠٠٠) إلى (٢٠,٠٠٠ - ٣٠,٠٠٠) ألف ريال^(٣)، وهناك حالات أخرى فردية تكلف أقل من ذلك أو أكثر^(٤).

ويفرح أهل القريتين في عيدي الفطر والأضحى، فيبدلون قصارى جهودهم في تنظيف منازلهم قبل العيد، وأحياناً تقوم النساء بدهان جدران الغرف من الداخل بالجنس أو النورة البيضاء، كما يغسلن ملاحف المنزل مثل البطانيات والفرش الأخرى. ويشترى الرجال بعض الملابس والأغراض لأفراد أسرهم. وفي عيد الأضحى يتعاون أفراد الأسرة في تجهيز أضحية جيدة تدبج يوم العيد، وغالباً تكون من أغنامهم ومواشيهم، ومن ليس عنده أغنام فإنه يحصل على أضحيته من بعض الجيران أو تشتري من السوق^(٥). وقد عاصرت مع سكان القريتين أعياداً عديدة من عام (١٢٧٩ - ١٣٩٦هـ/١٩٥٩ - ١٩٧٦م) فتراهم فرحين بمناسبة العيد، فهم متحابون متعاونون. وفي أيام العيد يزور بعضهم بعضاً حتى أنك ترى جميع أسر القرية وكأنهم أسرة واحدة لما يعيشونه من تجاور وترابط وتألف^(٦).

- (١) هذا ما شاهدته في ثمانينيات القرن (١٤هـ/٢٠م).
- (٢) عاصر الباحث شيئاً من هذه الحفلات في قريتي آل مقبول وآل رزيق وغيرها من القرى في محافظة النماص خلال تسعينيات القرن. (١٤هـ/٢٠م).
- (٣) كانت هذه الحالات قليلة. وغالبية السكان يدفعون مهوراً أقل مما ذكر. وذلك لندرة المال في أيدي الناس وبخاصة في السبعينيات والثمانينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م).
- (٤) عندما كنت في قرية والدتي حتى منتصف الثمانينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م)، ثم انتقلت إلى قرية والدي في بلاد بني شهر عام (٨٤ - ١٢٨٥هـ) وبقيت فيها إلى عام (١٢٩٦هـ/١٩٧٦م) وعاصرت زواجاً عديدة، ومنها الذي لم يكلف حتى ألف وألفي ريال، بل بعضها أقل من ذلك، وهناك زواجاً وبخاصة عند الأغنياء والوجهاء وشيوخ القبائل تكلف عشرات الآلاف من الريالات، وكان هناك بعض الفقراء الذين يتزوجون بريالات معدودة، أو ببعض البضائع التي تقدم للعروسة وأهلها مثل: الحبوب، وبعض الأغنام أو الأبقار. وهذا ما شاهدته في عامي (٨٦ - ١٢٨٧هـ/٦٦ - ١٩٦٧م) في قرية آل رزيق وقرى أخرى مجاورة في سروات محافظة النماص.
- (٥) هذا ما شاهدته عند أسرة والدتي وبعض أسر قرية آل مقبول عام (٨٤ - ١٢٨٥هـ/٦٤ - ١٩٦٥م)، والوضع نفسه عند بعض أسر قرية آل رزيق عام (٨٧ - ١٢٨٨هـ/٦٧ - ١٩٦٨م).
- (٦) هكذا كانت أعياد الناس خلال النصف الثاني من القرن (١٤هـ/٢٠م)، وقد شاهدت آنذاك صوراً عديدة حميلة من الترابط والتقارب خلال أعياد الناس. واليوم زاد الخير عند المجتمع، وأصبحوا في سعة من الرزق، بعكس ما كان عليه الآباء في السابق، ومن ثم تنافر الناس من بعضهم البعض فلم تعد ترى ذلك التألف الذي كان عند الأوتل، ولا نرى روح الفرح والسعادة التي عاشها رجال وأطفال ونساء القرن الهجري الماضي، وإنما تحولت أعيادنا اليوم إلى حياة مملة ورتيبة منذ بدايتها إلى نهايتها، فهناك من يترك منزله في الأعياد ويسافر إلى أماكن عديدة داخل البلاد وخارجها، وهناك من يستمر في نموه يوم العيد إلى صلاة العصر ثم يخرج بمفرده أو مع بعض أفراد أسرته إلى بعض المطاعم أو الملاهي وغيرها.

وكانت عادة الختان إلى ثمانينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) من العادات التي يُحتقى بها من قبل أبناء القرى والأرياف والعشائر، فيتجمع الشباب المتقاربون في أعمارهم، وقد يصل عددهم إلى العشرة وربما أقل أو أكثر يجري ختانهم في مكان عام يشاهدهم فيه سكان القرية (نساءً ورجالاً). وبعد إنهاء عملية الختان^(١)، تقام الولائم، وتمارس العديد من الرقصات الشعبية، وأحياناً تستمر حفلة الختان ليوم وربما أكثر من ذلك^(٢).

ومارس أهل القريتين عادة المآتم، فهم يقيمون العزاء لمدة ثلاثة أيام في منزل الميت، ويأكلون ويشربون من مال وريثة المتوفي، وغالباً يقومون بذبح ثور الميت أو بعض أغنامه بعد وفاته، ويسمون هذه الوليمة (حَفْرَة) أي أنها صدقة على الميت، ويعاني أهل الميت لما يقدمون من طعام وشراب خلال أيام العزاء^(٣). وهذه العادة كانت منتشرة عند عموم سكان السروات وتهامة، بل سمعت ممن عاصرها خلال السبعينيات والثمانينيات قولهم أنهم كانوا يفرحون بمناسبات المآتم، لحصولهم على الأطعمة والأشربة التي تقدم في تلك المناسبة^(٤). وبدأ الناس منذ بداية هذا القرن محاربة هذه العادة، فتقام مناسبة العزاء لمدة ثلاثة أيام، لكن الذي يحضر الطعام والشراب من أقارب وجيران المتوفي، ويقدم أهل الميت بعض المشروبات مثل الشاي، والقهوة وغيرها^(٥).

(١) هناك العديد من الوثائق والبحوث والكتب التي تحدثت عن عادة الختان في جنوبي البلاد السعودية خلال القرون الماضية المتأخرة، وكانت هذه العادة جائرة لما يمارس مع المختونين من قسوة وعنف، وأيضاً لما يقدم في هذه المناسبة من أطعمة وأشربة يقوم بها أهل الشباب المختونين. كما أن الشباب آنذاك لا يختنون إلا في سن متأخرة حيث تصل أعمار بعضهم إلى العشرين عاماً. ومنذ ثمانينيات وتسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) خفت هذه العادة، وأصبح الناس يختنون أولادهم في سن مبكرة وفي المستشفيات والمراكز الصحية، كما سعت الدولة إلى محاربة هذه العادة، ولم يأت العقد الثاني من القرن (١٥هـ/٢٠م) إلا أصبحت من الماضي.

(٢) كانت حفلات الختان من المناسبات الكبيرة التي يبذل فيها مال وجهد كبيران. وفي بعض المناطق في جنوبي البلاد السعودية تستمر هذه المناسبة فترة طويلة ربما تصل إلى العشرة أيام، ويقال فيها الكثير من الأدب الشعبي مثل الأشعار، والقصائد، والأهازيج المحلية. واشتهر شعراء بهذه الفنون. وكانت عند أهل تهامة أعنف وأطول من أهل السراة، وقد عاصرت شيئاً من هذه الحفلات في تهامة عسير وقحطان في نهاية العقد الأول من القرن (١٥هـ/٢٠م)، مع أنها لم تعد موجودة آنذاك في بلاد السراة، وكان للدعاة والدولة جهد كبير في محاربة هذه العادة والقضاء على أعرافها وطقوسها القديمة. ويوجد في جنوبي البلاد السعودية الكثير من العادات الاجتماعية واسعة الانتشار حتى العقود الأخيرة من القرن (١٤هـ/٢٠م)، واليوم أصبحت غير معروفة عند جيل اليوم، ومثل هذه العادات جديرة بالبحث والدراسة.

(٣) عاصرت شيئاً من هذه المعاناة التي كان يعيشها بعض أسرنا وجيراننا في القريتين في ثمانينيات وتسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م).

(٤) سمعت أقوالاً كثيرة من هذا النوع عند كبار السن في القريتين والقرى المجاورة، وذلك بسبب الفاقة والجوع الذي كان يعيشه عموم السكان.

(٥) نعم ما زالت عادة العزاء معروفة في عموم بلاد تهامة والسراة، بل في أنحاء المملكة العربية السعودية، فتقام الخيام، أو تفتح الصالات لاستقبال المعزين لمدة ثلاثة أيام، ويزامن أحياناً هذه العادة بعض الإسراف في الأطعمة والأشربة، كما يتعطل الناس عن أعمالهم، مع أنها ليست من الدين ولم يمارسها السلف الصالح، والدعاء للميت واجب على الحي فيدعوه في أي مكان وزمان، ولا داعي للاحتفالات والتجمعات.

كما مارس أهل القريتين وما حولهم من القرى عادات أخرى عديدة مثل: تعاون بعضهم مع بعض في رعي أغنامهم، وحرث وزراعة وحصد محاصيلهم الزراعية، وتبادل بعض الألبسة أو الأدوات الزراعية، والوقوف إلى جانب المحتاج أو المنكوب بينهم. وكانوا يفرحون باستقبال الضيف والقيام بواجبات الضيافة، ويودعون ويحزنون على من يسافر من رجالهم إلى مدن أخرى للتجارة، أو للحج، أو البحث عن وظيفة يكسب منها رزقه^(١).

ومما شاهد الباحث في قريتي آل مقبول وآل رزيق استيقاظ جميع أفرادها مبكراً، ثم مشاركتهم جميعاً في الأعمال اليومية، وعند المغرب يعودون إلى منازلهم، وأحياناً يتسامرون ساعة أو جزءاً من الساعة، ثم يخلدون إلى النوم. وكان في القريتين بعض النساء والرجال الذين يروون بعض القصص الشعبية على بعض أفراد القرية، صغاراً وكباراً، وفي بداية التسعينيات جلبت بعض الأسر الرائي (التلفاز) إلى بيوتهم فيجتمعون حوله بعض الوقت أول الليل ثم يذهبون إلى النوم، ولم يكن عندهم ملهيات أو شواغل أخرى تؤخرهم عن النوم، والاستيقاظ مبكراً، بعكس ما نشاهده اليوم في قرانا وأريافنا ومدننا^(٢).

٤. اقتصاديات الناس :

من اقتصاديات القريتين جمع الحطب، فلا يوجد أسطوانات غاز، أو وسائل تدفئة أخرى غير الحطب الذي يجمعه الرجال والنساء من جبال وأودية ووهاد القرية ثم يستخدم في طبخ الأطعمة، والتدفئة وغيرها. وقد شاهد الباحث رجالاً ونساءً يجلبون الحطب من أحمية القريتين، ومن البوادي وسفوح السروات الغربية، المعروفة بمنطقة (الأصدار)، وهناك من يحمل الحطب على ظهور الجمال أو الحمير، وآخرون يحملونه على ظهورهم. وكل أفراد أسرة يقومون بتوفير الحطب لاستخداماتهم الخاصة، وبعض الأسر المقتدرة مادياً تشتري الحطب من الأسواق الأسبوعية، أو من تجار الحطب، وغالبيتهم من البدو الذين يسكنون في الأجزاء الشرقية من محافظة النماص^(٣).

(١) شاهد الباحث الكثير من هذه العادات خلال العشرين سنة الأخيرة من القرن (١٤هـ/٢٠م)، والجميع في مجتمع القرية آنذاك مترابطون متعاونون، فالناس في القرية كانوا كالأسرة الواحدة في أتراحهم وأفراحهم، وممارسة جميع نشاطاتهم الحضارية. والواجب على الباحثين والمؤرخين أن يدرسوا تركيبة مجتمعات القرى والقبائل في بلاد تهامة والسراة خلال القرون الهجرية الثلاثة المتأخرة .

(٢) من عاصر حياة الناس في النصف الثاني من القرن (١٤هـ/٢٠م)، ثم شاهد حياة السكان اليوم، وما غزاهم من أفكار وتغيرات في ألبستهم، وأطعمتهم، وعاداتهم، وعلاقاتهم ببعضهم، وانخراطهم في مشاغل عديدة، وتبدل نظام حياتهم في الليل والنهار، فإنه سوف يلحظ التحول الكبير في شتى مناحي الحياة، فأصبح الفرد اليوم في وضع يسوده التوتر والقلق، وضيق الأوقات فيما لا ينفع ويفيد. وكل هذا أثر على الفكر، والصحة، والاستفادة من الوقت. ودراسة هذه التغيرات من مسؤوليات الباحثين والمؤرخين الذي يجب عليهم تدوين تاريخ هذه الحقب وما جرى خلالها من تحولات اجتماعية وحضارية .

(٣) هذا ما عاصره الباحث وشاهده في قريتي آل رزيق وآل مقبول وما جاورهما من القرى في ثمانينيات القرن (١٤هـ/٢٠م)، وكان حمل الجمل من الحطب يكلف من عشرة إلى خمسة عشر ريالاً، وربما يعطى السعر من محاصيل الزراعة كالذرة والحنطة وغيرها.

ومن مهن بعض سكان قرى محافظة النماص، كآل رزيق وآل مقبول وغيرهما الصيد. وفي نهاية الثمانينيات وأوائل التسعينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م) اجتاح بلاد بني شهر وبني عمرو وغيرها من السروات الممتدة من أبها إلى الطائف جحافل من الجراد، وقد جمع الناس منه الشيء الكثير، ورأيت في محيط القريتين من ملاء عشرات الأكياس (الخيث) من الجراد، ثم ادخره للاقتيات به^(١). كما وجد في القريتين صيادون مشهورون يحملون بنادق (الشوزن) وغيرها ويصطادون الغزلان، والوبران، وطيور الحمام، والقهاب، واليمام وغيرها، ثم يجلبون ما صادوا إلى أسرهم لطبخه وأكله^(٢).

وشاهد الباحث بعض الرجال والشباب الذين مارسوا بعض الحيل لاصطياد العصافير في أوكارها أثناء الليل، فتراهم يحضرون غطاءً كبيراً من سعف النخيل، أو بعض السجاد أو القماش، ثم يذهبون إلى الآبار الجوفية في القريتين، ويغطون فوهتها بعد أن تخلد العصافير إلى أعشاشها في الليل، ثم يبدؤون بإزعاجها حتى تخرج من أوكارها، ولا تستطيع الفرار، لتغطية فتحة البئر، وهناك صيادون جاهزون لاصطيادها. ورأيت في ثمانينيات القرن الهجري الماضي من كان يصيد إلى مئة عصفور من البئر الواحدة^(٣).

وكانت الزراعة المهنة الرئيسية التي يشتغل فيها سكان القريتين^(٤). فالذاهب في أرجاء القريتين، وفي قرى السروات الممتدة من أبها إلى الطائف يشاهد الأراضي الزراعية هي الغالبة على جميع هذه المناطق. وهناك نوعين من الأراضي الزراعية المسقوي التي تسقى من الآبار، والكطائم، والجداول. والأراضي العثرية التي تسقى من مياه الأمطار، ولا تخرج أراضي القريتين الزراعية عن هذين النوعين^(٥).

والمتجول اليوم في الأراضي الزراعية في القريتين، يجدها محاطة بأسوار ومدرجات زراعية، ولكل قطعة اسم محدد، وكل أسرة تعرف حدود مزارعها^(٦). وهذه الأراضي

(١) مشاهدات الباحث في بعض السنوات من العقدين الأخيرين من القرن (١٤هـ/٢٠م).

(٢) المصدر نفسه.

(٣) حيل الصيادين قديمة، وكتب التراث مليئة بالحيل التي كان يسلكها هواة الصيد في أنحاء العالم الإسلامي، وما جرى في القريتين مع الصيد والصيادين ليس إلا نماذج محدودة وبسيطة.

(٤) نعم كان هناك مهن أخرى عند سكان القريتين مثل جمع الحطب وبعض الثمار الجبلية، أو الصيد، لكن المهنة الأولى هي الزراعة. فهم سكان أرياف يمارسون مهناً متعددة، إلا أن أرضهم زراعية، وهي التي يعتمدون عليها في كسب أقواتهم.

(٥) نجد كتب الفقه الإسلامي مليئة بالتفصيلات التي تشرح زكوات المزارع العثرية والمسقوية، ومقاديرها. والدولة هي المسؤولة عن جمع هذه الزكاة من أصحاب الأراضي، وتوزيعها في مصارفها الشرعية.

(٦) لدى الباحث مئات الوثائق التي تحتوي على تفصيلات تاريخية عن أسماء مزارع عديدة في بلاد السراة، وأسماء أصحابها، وحدودها، وكثير من الإشكالات التي كانت تحدث بين الجيران في المزارع، مثل ترسيم الحدود، وسقي المزارع، والدروب التي تصل المزارع بعضها مع بعض.

كانت العمود الفقري لسكان القريتين، فتراهم جميعاً متعاونون متجاورون متكاتفون في ممارسة حياتهم الزراعية منذ حرت الأرض، وبذرهما، ثم حماية محاصيلها حتى حصادها، ودرسها وخزنها^(١).

وكانت الزراعة الموجودة في القريتين زراعة الحنطة، والذرة، والشعير، والدرج، والبلسن (العدس)، والبرسيم، وبعض الخضروات مثل: الكوسة، والطماطم، والبصل، والبطاطس، والثوم، والفاصوليا وغيرها^(٢). وأذكر أنني كنت أشارك أسرة والدي في قرية آل رزيق فكانوا يجنون عشرات الأكياس من حبوب الذرة والحنطة والشعير^(٣). وهكذا كان حال جميع الأسر في قرى محافظة النماص. بل عند جميع قرى السروات^(٤).

وإذا تحدثنا عن طرق ممارسة الزراعة عند سكان القريتين، فهم عالمون بالمواسم والأنواء المصاحبة لأوقات الزراعة والحصاد^(٥). كما كانوا متعاونين في حراثة وزراعة وحصد محاصيلهم الزراعية، والتعاون لا يقتصر على الرجال والنساء، وإنما الجميع يعملون يداً واحدة في خدمة أراضيهم الزراعية منذ حراستها وسقيها حتى حصد ثمارها وخزنها. وكان هناك أناس (ذكور وإناث) لا يملكون أراض زراعية، يأتون من مناطق متعددة للعمل مع أصحاب المزارع، والحصول على أجورهم من منتوج المزارع، ويطلق عليهم أسماء (الطلابية)، أو الأجراء، أو النفعة، ومفردها نافع. والبعض من هؤلاء يقيمون في القرية شهوراً وربما يمتد المقام ببعضهم سنوات^(٦).

(١) كانت الزراعة في عموم بلاد السروات أنشط المهن عند السكان، وإذا كان عند بعض الأسر مصادر غذائية أخرى فهي ثانوية. ومنذ نهاية القرن الهجري الماضي بدأ الناس يتركون مزارعهم ويعملون في مهن اقتصادية أخرى مثل التجارة، والوظائف الحكومية والأهلية، أو مهن صناعية وحرفية أخرى. بل هاجر الكثير من سكان القريتين وجميع قرى السروات إلى المدن الكبيرة في المملكة من أجل الدراسة أو العمل في أعمال أخرى عديدة، وعند توفر المال لديهم عادوا إلى قراهم، وبدأوا يحولون مزارعهم إلى أراض سكنية وتجارية، ومن ثم تراجع الزراعة، ولم يبق هناك إلا أفراد قليلون يزرعون بعض الخضروات القليلة في بلادهم الزراعية، وأصبحت الأراضي الزراعية مندثرة ومهجورة.

(٢) حبذا أن نرى باحثاً جاداً يدرس تاريخ الزراعة في محافظة النماص، أو في منطقة عسير، أو في بلاد السروات خلال القرن (١٤هـ/٢٠م). وهذا موضوع مهم وجديد في بابهِ.

(٣) مما جنى والدي في كل ثمرة، كان يملأ به حصنه الخاص الذي بناه ملاصقاً لمنزله، وما زال قائماً حتى الآن.

(٤) تجولت في بلاد السروات خلال الأربعين عاماً الماضية، وجمعت الوثائق وفيها وثائق زراعية تعكس صوراً من تاريخ الحياة الزراعية في هذه البلاد، كما التقيت ببعض كبار السن الذين حدثوني بأخبار وروايات عديدة عن التاريخ الزراعي في أوطانهم خلال النصف الثاني من القرن (١٤هـ/٢٠م).

(٥) عرب السراة الأوائل يملكون معلومات كثيرة عن علم الأنواء ومواسم الزراعة، وهكذا كان حال جميع عرب شبه الجزيرة العربية.

(٦) شاهد الباحث الكثير من هؤلاء النفعة ومفردها (نافع) خلال تسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م)، وبعضهم أقام في قريتي آل مقبول وآل رزيق وغيرها من قرى السروات شهوراً أو سنوات عديدة.

ومن صلاح ذلك الزمان (١٣٧٩-١٣٩٦هـ/١٩٥٩-١٩٧٦م)، أنهم متوكلون على الله في جميع أعمالهم، وأهمها ممارسة مهنة الزراعة، فترى الواحد منهم عندما يخرج من منزله ومعه أدوات الحرث أو الري، وأبقاره التي يستخدمها في الحراثة والزراعة فهو يردد عبارات التكبير والتسبيح، وطلب الرزق والتوفيق، والتوكل على الله، ومن ثم تري الأمطار تنزل عليهم باستمرار، وبلادهم وجبالهم وأوديتهم مكسوة بالخضرة، وهم جميعاً متفائلون، راضون بما رزقهم الله عز وجل^(١). وإن اجتمعوا في المسجد، أو مجالسهم العامة والخاصة فهم يذكرون بعضهم بعضاً بالتوبة والاستغفار، وطلب العفو والعافية^(٢).

والناظر في تعاملات الناس الزراعية، يجد كل مرحلة من مراحل الحياة الزراعية لها مفردات ودلالات يعرفها سكان القرى منذ حرث الأرض، ثم بذرها ورعايتها حتى تستوي، ثم حصادها، ودرسها، وتصفيتها حتى خزنها أو تصدير بعض محاصيلها إلى الأسواق التجارية في بلاد تهامة والسراة أو الحجاز أو غيرها^(٣). كما أن كل فرد في الأسرة يعرف ما يجب عليه أن يقوم به من أعمال زراعية، إلا أنهم جميعاً يسعون إلى تحقيق الحصول على المكاسب من المحصولات الزراعية^(٤).

والمزارعون يواجهون أخطاراً عديدة في العمل الزراعي، ومن أعظم تلك المشاكل الجفاف والقحط الذي كان يقع من وقت لآخر، وعندما يحدث ذلك يهب الناس إلى صلاة الاستغاثة، وغالباً يغاثون^(٥)، وقد عاصر الباحث أوقاتاً من الجذب في ثمانينيات وتسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م)، وذلك مما أثر على مزارع الناس ومحاصيلهم، فألحقت بهم الضرر مثل: ندرة المياه في الآبار، وهلاك الزروع، وموت بعض المواشي والأفراد^(٦).

(١) نعم كانت جميع البلاد في العقود الأخيرة من القرن (١٤هـ/٢٠م) غنية بمزروعاتها واخضرار أرجائها، وكثرة غيثها، وسقوط أمطارها .

(٢) هكذا كان ديدن الناس في ذلك الزمان، مع أن التعليم والتعلم بينهم كان قليلاً، إلا أنهم يحملون أحاسيس صادقة في عباداتهم وأفعالهم وأقوالهم . واليوم انتشر التعليم في كل مكان، إلا أن الناس أقل صدقاً في أقوالهم وأفعالهم، وتعاملاتهم العامة والخاصة.

(٣) بلاد السراة مشهورة بمحاصيلها الزراعية منذ عصور ما قبل الإسلام وعبر القرون الإسلامية المختلفة، ولذا فهي تصدر إلى أمكنة عديدة في شبه الجزيرة العربية وبخاصة إلى أسواق الحجاز الرئيسية .

(٤) عادات ممارسة الزراعة، وما يصاحبها من عبارات ومفردات وألفاظ جديرة بالجمع والدراسة والتحليل، ونأمل أن نرى باحثاً يعد لنا معجماً بذلك، ومن يفعل ذلك فسوف يسدي لنا معاشراً الباحثين فضلاً كبيراً.

(٥) كان الناس قديماً أكثر استجابة في طلبهم الغيث، فسي بعض الأوقات لا يخرج المصلون من صلاة الاستسقاء إلا والأمطار تنزل على البلاد والعباد .

(٦) تاريخ القحط والمجاعات والفقر الذي عاشه سكان تهامة والسراة خلال القرون الماضية المتأخرة من الموضوعات الجديدة، ويستحق أن يدرس في بحوث وكتب عديدة .

ومن آفات الزراعة والمزارعين قديماً بعض الأمراض التي تصيب المزارع مثل: أنواع من الدود أو بعض الكائنات الحية التي تهلك الثمار والحبوب وبعض المزروعات^(١). وأيضاً الطيور والقروذ التي تنهال على المحاصيل الزراعية فتأكلها، وتخرب محتوياتها. وبعض اللصوص يعتدون على المزارع وبخاصة الأشجار المثمرة فيسرقون ثمارها، ويلحقون بها الأذى والدمار^(٢).

وكان أهل القريتين يمارسون حرفاً وصناعات تقليدية عديدة. وهناك أسر معروفة تقوم بصناعة الأخشاب التي تستخدم مع البناء مثل الأبواب والنوافذ الخشبية، وأدوات الزراعة والري، وجميع مواد النجارة الأولية كالخشب وغيرها موجودة في أراضي القريتين^(٣). كما عرف في محيط القريتين وما جاورها حدادون وصناع لبعض المعادن مثل الذهب والفضة. وهؤلاء الفئة يصنعون المواد الحديدية التي يحتاجها المزارعون، وبعض أدوات الطعام والشراب، ومنهم من يصنع السيوف والخناجر، والسكاكين المتنوعة في أحجامها^(٤). ويمارسون أيضاً معالجة بعض أدوات الزينة المصنوعة من النحاس، والفضة وأحياناً من الذهب^(٥). وهذه الفئة من الناس ينظر إليهم المجتمع على أنهم في منزلة أقل من غيرهم وبخاصة في إطار المصاهرة والزواج فلا يزوجون أو يتزوجون إلا من أسر تمارس المهنة نفسها، ونجد هذه العادة سائدة في عموم بلاد تهامة والسرارة، بل في أنحاء المملكة العربية السعودية^(٦).

- (١) شاهد الباحث بعضاً من هذه الآفات التي كانت تصيب المزارع بالخراب. وهناك الصقيع، الذي يسمى عند أهل البلاد . (الضرب) كان أيضاً يهلك الكثير من الثمار والزروع .
- (٢) عاصر الباحث في تسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) بساتين وزروعاً في القريتين (آل مقبول، وآل رزيق) اعتدى عليها بعض اللصوص المجهولين فالحقوا بها الخراب والدمار، وسرقوا الكثير من ثمارها ومحاصيلها .
- (٣) حتى العقد التاسع من القرن (١٤هـ/٢٠م) لم يعمل في مهنة التجارة أيدي عاملة من خارج البلاد السروية، وإنما كان جميع التجارين من أهل البلاد . ومازلنا نشاهد عند بعض الأسر الكثير من الأبواب والأدوات الخشبية التي صنعوها خلال النصف الثاني من القرن (١٤هـ/٢٠م) .
- (٤) شاهد الباحث بعض الأسر التي تقوم بصناعة الحديد وبعض المعادن في قرى بني جبير التي تنتمي لها قرية آل رزيق، وفي بعض القرى المجاورة لقرية آل مقبول .
- (٥) كانت أدوات الزينة المصنوعة من الذهب والفضة قليلة، إلا أن هناك أسراً ونساء يقتنون شيئاً من هذه الأدوات، وإذا احتاجوا إلى صيانتها أو إصلاحها فأنهم يذهبون بها إلى صنّاع المعادن في القريتين أو ما جاورها كي يصلحوها حتى تصبح جاهزة للاستخدام . ومن بدايات القرن (١٥هـ/٢٠م) زادت أماكن بيع وإصلاح المعادن كالحديد، والفضة والذهب، كما فتحت دكاكين خاصة لبيع الذهب، وورش تصنع أنواعاً من الأدوات الحديدية .
- (٦) هذه العادة قديمة عند العرب، عرفها الجاهليون واستمرت خلال القرون الإسلامية، ومن خلال جولاتي في بلاد السروات وتهامة، وزيارة بعض المناطق في المملكة العربية السعودية خلال الأربعين عاماً الماضية، تأكد لي أنها مازالت موجودة وتمارس على نطاق واسع، وإذا بحثنا عن دليل شرعي لهذه المعاملة لا نجد في القرآن أو مصادر التشريع الأخرى ما يؤيد ممارستها، وللأسف أن بعض رجال المجتمعات السروية والتهامية وغيرها يذهبون للزواج من أماكن عديدة في العالم ولا يتزوجون من بنات البلاد المنتمين لهذه الأسر الصناعية، وذلك خوفاً من نظرة المجتمع لهم، وهي فعلاً نظرة خاطئة وجاهلية .

معظم أسر القريتين وعموم قرى السروات يعالجون دباغة الجلود التي يصنع منها أدوات عديدة مثل: الغروب، ومفردها (غرب) وهو الوعاء الجلدي الذي ترفع فيه المياه من الآبار لري المزارع، والشكوة التي يخض فيها اللبن حتى يتم فصل الزبد من الحليب، وبعض الملاحف والفرش الجلدية، والخرج والعيبة التي تحمل على الجمال والحمير ثم يوضع فيها الحبوب وبعض الأغراض الأخرى لنقلها من مكان لآخر، وكذلك صناعة الحبال، وبعض أدوات الطعام، واللباس والزينة، وغيرها من الأوعية والأغراض الجلدية^(١). وهناك طرق معروفة يتبعها النساء والرجال في دباغة الجلد منذ الحصول عليه، وعلى مواد الدباغة الأولية، حتى يصبح أداة جاهزة لما صنع له^(٢).

وتقوم أسر القريتين بغسيل ملابس أفرادها، وغالباً يستخدم الماء البارد وأحياناً الحار في الغسيل، ونادراً يتوفر الصابون، وتغسل الملابس والملاحف في فناء المنازل، أو عند الآبار، أو قريباً من الأودية أو الجداول المائية، وقد يستخدم التراب أو شجر الصبار مع الماء أثناء الغسيل. ويقوم النساء باستخدام النيلة أو الزعفران أو بعض الأدوات الأخرى التي تساعد على صباغة الملابس وتغيير ألوانها من الأبيض إلى الأسود، أو الأصفر، أو الأزرق، أو الأحمر^(٣). ويتم الحصول على أدوات الصباغة من البيئة المحلية، وأحياناً تستورد من بعض أسواق مناطق عسير، وجازان، والقنفذة، والحجاز^(٤).

ومعظم الأقمشة تجلب من الأسواق الأسبوعية القريبة، وفي التسعينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م) كان بعض رجال القريتين يذهبون إلى الحجاز، أو القنفذة ويجلبون معهم كميات من الأقمشة التي توزع على أبناء وبنات قراهم، وربات وأرباب الأسر يقومون بخياطة تلك الأقمشة على هيئة ثياب والبسة متعددة الأشكال .

وعرفت جميع قرى السروات البنائين المحليين الذين شيّدوا المنازل الحجرية، وبنوا الآبار، والقصور والحصون وغيرها من المرافق المعمارية . وهؤلاء البنائون كانوا ذوي

(١) من يزور بعض المتاحف المحلية الخاصة في محافظة النماص فإنه سوف يشاهد أدوات جلدية عديدة كانت تستخدم لأغراض متعددة عند سكان القرى .

(٢) شاهد الباحث الكثير من الأسر التي كانت تمارس الدباغة والخرازة في قريتي آل رزيق وآل مقبول وما جاورها من القرى خلال القرون الأخيرة من القرن (١٤هـ/٢٠م) . وأقول إن تاريخ الحرف والصناعات التقليدية في محافظة النماص خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) من الموضوعات الجديدة التي تستحق أن تدرس في عدد من البحوث .

(٣) هذا ما شاهده الباحث في قريتي آل مقبول وآل رزيق وبعض القرى الأخرى المجاورة في محافظة النماص خلال ثمانينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) .

(٤) كان الباحث يتردد على سوق الثلاثاء الشعبي في بلدة النماص في أواخر الثمانينيات وتسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) ، ويشاهد بعض أدوات الصباغة مثل النيلة والعصفر والزعفران المعروضة في ذلك السوق . كما شاهد والدته وبعض قريباته عندما كن يستخدمن النيلة في صبغ ملابسهن كالثياب والأقنعة وغيرها .

حظوة ولهم منزلة كبيرة عند سكان القرى، وبعضهم اشتهروا بجودة ودقة مهنتهم في البناء^(١). كما أن بعض الرجال العاديين في القرى يمارسون مهنة البناء على نطاق ضيق في حدود مدرجاتهم الزراعية، وأملاكهم العقارية من الأراضي ومرافق المنازل وغيرها. وهناك حرفيون يجيدون تشذيب الأحجار التي يستخدمها البنائون في بناء المنازل والقصور، وأفراد آخرين يعرفون معالجة التراب (الطين) الذي يستخدم مع البناء، وصنف آخر يقومون بمساعدة البناء أثناء بنائه البيوت، ثم يفحصون الجدران المبنية، ويسدون فراغاتها بأحجار صغيرة تسمى (حجارة الكحل). وتقوم النساء وأحياناً الرجال بتلييس جدران الغرف من الداخل بالتراب الأصفر، وأحياناً البني، ثم تدهن بالنورة البيضاء. وفي تسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) استخدم الإسمنت في تلييس جدران المنازل من الداخل والخارج، ثم طلائها باللون الأبيض. وبعض النسوة اشتهرن برسم خطوط متعددة الألوان على جدران الغرف من الداخل، وهذا الفن عرف في بلاد عسير بـ (القط العسيري) ومازلنا نشاهد بعض هذه الرسومات والأشكال في منازل القريتين وقرى أخرى عديدة في سروات عسير، وبعض قرى رجال المع ومحاليل عسير وغيرها من الأجزاء التهامية^(٢).

ومعظم سكان القريتين وبلاد السراة يقومون على خدمة مزارعهم منذ حُرث الأرض حتى زراعتها وحصاد محاصيلها. ومهنة الزراعة، كما ذكرنا سابقاً، هي الحرفة الرئيسية لأهل السروات، وجميع الناس صغار وكبار يساهمون في الزراعة والري. وقد عاصر الباحث الأعمال الزراعية في القريتين، وشاهد الرجال والنساء على حد سواء يعملون في خدمة الزروع والمزارع منذ ساعات الفجر الأولى حتى غروب الشمس، وهناك من الأعراف والتقاليد الزراعية الاقتصادية التي تحتاج إلى عشرات الصفحات لشرحها وتدوينها^(٣).

وقد شاهدت في القريتين صوراً من بعض الطب والتطبيب الشعبي، مثل: الكي الذي يمارسه بعض الآباء، أو الأجداد، أو بعض الأطباء الشعبيين، فيكوي من يصاب ببعض

(١) عرف في قرية آل رزيق حمود بن غرمان بن ناشيئة، ومحمد بن هزاع اللذين كان من أفضل البنائين في سروات محافظة النماص. حيد أن نرى باحثاً يدرس تاريخ البناء والعمارة في منطقة عسير خلال القرن (١٤هـ/٢٠م).

(٢) هذا ما شاهده الباحث أثناء تجواله في قرى ومناطق عديدة من تهامة وسروات منطقة عسير خلال العشرين عاماً الماضية. وتاريخ الفنون المعمارية في بلاد السراة وتهامة من الموضوعات الجديدة وتستحق أن تدرس في بحوثه وكتب عديدة.

(٣) للأسف إن مهنة الزراعة اليوم تراجعت، واندثرت معظم الأراضي الزراعية، وترك أصحاب الأراضي مزارعهم، وأصبح الجيل الصغير اليوم لا يعرف تاريخ وحياة الزراعة والمزارعين قديماً، ويجب أن يعرف ويطلع هذا الجيل على ذلك التاريخ الحضاري الجميل.

الأمراض في رأسه أو ظهره. وعانى الباحث من هذا التطبيب، عندما كان يتنابه في الثمانينيات بعض الخوف والفرع أثناء النوم، فقام الوالد (علي بن جريس) (يرحمه الله) بكبي في مؤخرة الرأس، وهناك من كان يكوي في باطن القدمين، أو الظهر، أو المؤخرة، أو الكتف، أو في أي مكان آخر من الجسد. كما كان هناك بعض الأطباء الشعبيين، وربما استخدم بعضهم الشعوذة في علاجه، فيعطي بعض شيء من الماء، أو الزيت، ثم يعطى المريض بعض التمايم والأحراز التي تعلق في رقبتة، أو أي جزء من جسده^(١). وهناك حالات علاجية يمارسها بعض الآباء والأمهات، مثل: تناول شربة السنا، أو بعض المواد التي تصيب الفرد بالإسهال، وتطهير المعدة. كما كانت تعمل بعض الأشربة من حبوب الشعير، أو السنوت (اليانسون)، أو حب الرشاد (الثفاء)، أو العسل، أو السمّن، أو اللحم والمرق وغيرها من الأطعمة والأشربة التي يرون أنها تشفي المريض من بعض الأمراض. وفي الثمانينيات والتسعينيات وجد في بلدة النماص بعض الأطباء الذين يقومون على معالجة المرضى، وتطعيم الطلاب من أمراض الجدري، والشلل، والحمى، والكوليرا وغيرها^(٢).

ومارس سكان القريتين وجميع القرى المجاورة^(٣) مهناً محلية عديدة مثل: الحلاقة، فأغلب أولياء الأمور يحلقون رؤوس أبنائهم، وفي القريتين بعض الأفراد المشهورين بالحلاقة، فيستدعون من بعض الأسر لحلاقة الأبناء الذكور، وهم محتسبون، ولا يأخذون أجراً على ذلك. وفي القريتين وبعض القرى المجاورة أفراد يجيدون ختان (تطهير) الأبناء، وأحياناً يأخذون أجوراً على إجراء عملية الختان، والبعض لا يأخذون على ذلك شيئاً. كما عرف بعض الرجال الجيدين في ذبح الأغنام وسلخها، وغالباً يستدعون للقيام بهذه المهنة في عيد الأضحى، أو في مناسبات الزواج، وبعض حفلات الختان، وغيرها من المناسبات الاجتماعية. كما أن بعض أرباب الأسر هم الذين يذبحون ويسلخون ذبائحهم بأنفسهم^(٤).

(١) شاهد الباحث بعض المعالجين الذين يستخدمون هذه الطرق، بل إن والدي (يرحمه الله) أرسلني إلى بعضهم، فأعطوني بعض الطلاسم المكتوبة، ثم خيطت في باطن كوفيتي (الطاقية) لعدة سنوات، ونسأل الله أن يغفر لنا ويعفو لأولئك المعالجين الذين سلكوا معنا هذه الطرق العلاجية المخالفة للشرع.

(٢) كان الأطباء الذين وصلوا إلى النماص في العقود الأخيرة، من القرن (١٤هـ/٢٠م) من جنسيات مصرية وسودانية أو من بلاد الشام. وكنا طلاباً في الابتدائية نشاهددهم يأتون إلى المدرسة السعودية في بلدة النماص ويقومون على تطعيمنا من بعض الأمراض المنتشرة والمعدية آنذاك، كما كانوا يعطوننا بعض الأشربة والحبوب الدوائية التي نستخدمها لعدة أيام بعد عملية التطعيم.

(٣) هناك عشرات القرى المجاورة أو القريبة من القريتين ويوجد قريباً من قرية آل مقبول: قرى الأشعب، ومخدرة، وآل غيهب، وآل سكوت، وصدريد، وآل ضاوي، والحتار وغيرها. والقرى القريبة من قرية آل رزيق: قرى آل معوظة، وآل وليد، والحاضرة، وآل عمر، وآل سلامة وغيرها. وكل هذه القرى الأنف ذكرها تتبع لعشيرتي بني كريم وبني جبير، أو عشائر أخرى مثل كعب، والكلاثمة وغيرها.

(٤) عاصر الباحث كل هذه الأعراف والعادات في قريتي آل مقبول وآل رزيق خلال العقود الأخيرة من القرن (١٤هـ/٢٠م).

لم يكن عند أهل القريتين ومن جاورهم تجارات يعملون فيها، لأن جل أعمالهم الرعي والزراعة وغيرها. وإن وجد أرباب أسرتين أو ثلاث يتاجرون في بعض السلع الضرورية^(١)، وكانت أعمالهم في التجارة محدودة جداً، فيجلبون بعض البضائع من الأسواق الأسبوعية أو الدكاكين الكبيرة إلى منازلهم ويبيعونها على أسر القرية، وبيعهم غالباً يكون بالأجل؛ لأن الناس آنذاك لا يملكون النقود^(٢).

ومن أفراد القريتين من يرتاد سوق الثلاثاء الشعبي في مدينة النماص، أو سوق خميس العرق في منطقة الخضراء، أو بعض الأسواق الأسبوعية الأخرى في الظهارة، أو تتومة، أو حلباء، أو بلاد عمرو الشام^(٣). وهناك من يذهب إلى بعض الأسواق الأسبوعية في بلاد خاط والمجاردة من تهامة بني عمرو وبني شهر^(٤). والمرتادون لهذه الأسواق يشترون بعض السلع المعروضة في تلك الأسواق، ومن أهمها: الأقمشة، وبعض الألبسة وأدوات الزينة كالعطور، والكحل، والحناء، كما يشترون بعض السلع الغذائية كالأرز، والسكر، والقهوة، والهيل، والبهارات، والتمور، وأحياناً يجلبون بعض الفواكه والخضروات، مثل: الموز، والتفاح، والبرتقال، والعنب. ومنهم من يشتري الحبوب، واللحوم، أو الأبقار والأغنام التي تذبح في الأضاحي^(٥).

وكان في القريتين من يصدر بعض السلع إلى الأسواق الأسبوعية الأنف ذكرها. ومن تلك البضائع حبوب الذرة، والحنطة، والشعير، أو بعض المواشي كالأغنام، أو

(١) أشرت سابقاً إلى وجود دكانين صغيرين في قرية آل رزيق، وصلحباها: حسن بن صوان، ومحمد بن شربة. وفي قرية آل مقبول دكان واحد لعبد الخالق بن ذريا العمري. وكنت أرسل من قبل والدتي في قرية آل مقبول أو من جهة والدي في قرية آل رزيق لإحضار بعض السلع من تلك الدكاكين. وكانت جل بضائعهم: الصابون، والصلصة، وبعض البهارات، والسكر، والشاي، والقهوة، والهيل. كما يوجد عندهم بعض الأقمشة، والبخور، والعطور، والحناء. وأحياناً يبيعون بعض الأدوات الصغيرة المستخدمة في الزراعة أو الصناعات والحرف التقليدية. المصدر: مشاهدات الباحث خلال الثمانينيات والتسعينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م).

(٢) كانت المقايضة من التعاملات الرئيسية عند سكان تهامة والسروات، ويحصلون على النقود إذا باعوا بعض سلعتهم التجارية مثل الحبوب والأغنام وغيرها. وأحوال الناس في العقدين الأخيرين من القرن (١٤هـ/٢٠م) أفضل مما سبقها من العقود، لأن الوظائف الحكومية زادت، وصار من أبناء القريتين وما جاورها من القرى موظفون في بعض القطاعات الرسمية مثل الميادين العسكرية والتعليمية وغيرها.

(٣) يوجد في هذه المناطق أسواق أسبوعية قديمة ومعروفة في سروات بلاد بني شهر وبني عمرو.

(٤) ينزلون إلى هذه الأسواق من مناطق الأصدار التي تتحدر من رؤوس السروات إلى المناطق النهامية المنخفضة. وهناك طرق (عقبات) عديدة تنزل من أعالي السروات إلى السهول النهامية في خاط والمجاردة وما جاورها من تهامة رجال الحجر وغيرهم. وقد نزل الباحث في بعضها مشياً على الأقدام في تسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م).

(٥) شاهد الباحث أسواق الأحد في خاط والمجاردة، والثلاثاء والخميس في سروات محافظة النماص. وكانت جميع السلع معروضة على الأرض في السوق. وكل سوق مقسم إلى أقسام عديدة حسب أنواع السلع المعروضة فيه.

الأبقار، أو الطيور كالدجاج والحمام . كما وجد من يصدر البيض، والسمن البلدي، أو جلود الأغنام أو الأبقار. وفي أسر القريتين من باع البرسيم، أو بعض الأعلاف التي يجنونها من مزارعهم . وجميع هذه السلع السابق ذكرها قليلة، إلا أن هناك من مارس بيعها أو شراءها^(١) .

والقريتان ليس لهما ولا القبيلتان اللتان تتبع لهما سوق خاص، وإنما يذهب سكانهما إلى الأسواق الشعبية القريبة منهما، أو إلى الدكاكين التجارية الصغيرة في مدينة النماص^(٢) . كما أن الطرق التي تربط القريتين مع بعضهما ضيقة وتسلكها الدواب مثل: الجمال، والحمير وغيرها . ولا يوجد طرق معبدة سوى الطريق الرئيسي الذي يربط اليمن وعسير بالحجاز . وكان هذا الطريق غير مسفلت حتى نهاية القرن الهجري الماضي، ثم أحضرت الحكومة شركات كورية وأجنبية أخرى تقوم على شق هذا الطريق وتوسعته وسفلتته^(٣) .

وأسعار السلع في العقود الأخيرة من القرن (١٤هـ/٢٠م) قليلة لعدم وفرة النقود الكافية . والمقايضة من أهم التكاملات التجارية التي كانت سائدة عند سكان السروات. فالجمل أو الناقة المتوسطة لا تتجاوز سعر الواحدة (١٠ - ٣٠) ريالاً خلال السبعينيات والثمانينيات، ثم ارتفعت أسعارها في التسعينيات إلى الضعف وربما أكثر. والخروف أو التيس من (٣ - ١٠) ريالاً، وزادت أسعارها من (٢٠ - ٥٠) ريالاً. والألبسة عند النساء والرجال والصغار والكبار لا تزيد اللبسة الكاملة للجسد والرأس والقدم عن عشرة ريالاً في سبعينيات وثمانينيات القرن (١٤هـ/٢٠م)، ثم زادت وتفاوتت أسعارها حسب أنواعها إلى عشرات الريالات في التسعينيات . كذلك أدوات الحراثة أو الري، أو الأدوات المستخدمة في الحرف والصناعات التقليدية كانت تتراوح أسعار السلعة الواحدة من قروش قليلة حتى الريال والريالين وربما الخمسة ريالاً حتى نهاية الثمانينيات، ثم تضاعفت أسعارها منذ التسعينيات. وأسعار الحبوب وبعض الأطعمة لم تكن هي الأخرى غالية منذ السبعينيات إلى نهاية الثمانينيات، ثم ارتفعت الأسعار في

(١) قد لا تصدر هذه السلع إلى السوق وإنما تباع في أماكنها على أفراد آخرين من القريتين، أو من القرى المجاورة .. وقد شاهد الباحث بعض آباءه وأجداده خلال الثمانينيات والتسعينيات من القرن الهجري الماضي وهم يبيعون ويشتررون في هذه البضائع. وأقول إن دراسة التاريخ التجاري لمحافظة النماص خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) من الموضوعات الجديدة ويستحق أن يفرد له بحث أو دراسة علمية موثقة .

(٢) يوجد في بلدة النماص بعض الدكاكين الصغيرة خلال التسعينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م)، وتعمل معظم ساعات النهار، ويوجد فيها سلع متنوعة، ومعظمها مجلوبة من حواضر الحجاز وعسير والنفذة وغيرها .

(٣) شاهد الباحث تلك الشركة الكورية التي أقامت لها عدداً من البيوت الجاهزة في النماص وتزودها وغيرها حتى تستخدمها للسكن أثناء العمل في فتح هذا الطريق الرئيسي الذي يخرج من أبها عبر بلاد السروات إلى الطائف.

التسعينيات. وكانت أسعار المنازل، والأراضي والعقارات رخيصة فلا يزيد سعر أفضل مزرعة أو بيت عن عشرات الريالات حتى نهاية الثمانينيات، وفي منتصف التسعينيات قفزت أسعار العقار حتى آلاف الريالات، وبعض الأمكنة والأراضي إلى مئات الآلاف^(١).

كما واجه سكان القريتين ومن جاورهم بعض الموقوفات في حياتهم الاقتصادية، ومن أهم تلك العقبات ما يأتي:

أ. قلة الأمطار والقحط الذي ظهر في بلادهم. وكانت الأمطار تسقط بكثرة في العقود الأخيرة من القرن (١٤هـ/٢٠م)، إلا أنه قد يحل عليهم أحياناً أزمة جفاف وقحط قتهلك زروعهم ودوابهم، وأحياناً يموت بعض السكان من الجوع وبخاصة منذ الستينيات إلى بداية ثمانينيات القرن الهجري الماضي^(٢).

ب. ضعف الحياة التجارية في بلادهم، وذلك لندرة التجارات، وإن مارس بعضهم تجارات الحبوب أو بيع بعض المواشي فذلك بنسبة قليلة لا تذكر. والجميع يعملون ليلاً ونهاراً من أجل الحصول على أقواتهم القليلة التي تسد رمق جوعهم.

ج. أحياناً يحل باقتصادهم ورعيهم، وزراعتهم وغيرها، بعض الكوارث أو الآفات مثل هطول الأمطار بشكل كبير مما يصيب مزارعهم، وأحياناً منازلهم وحيواناتهم بالدمار. وقد ينزل بمزارعهم بعض الأمراض التي تتلف محاصيلها، وأحياناً تصاب أبقارهم وجمالهم وأغنامهم بأوبئة تقضي على أكثرها. وكان يصيب سكان القرى بعض الأمراض الفتاكة: كالإنفلونزا، أو الجدري، أو الكوليرا وغيرها^(٣).

٥. العلم والتعليم، والفكر والثقافة :

كان سكان القريتين مرتبطين علمياً وثقافياً وفكرياً بمن حولهم من القرى والبلدات، وبلدة النماص المركز الرئيسي للمؤسسات الإدارية مثل: المحكمة الشرعية،

(١) من يطلع على كثير من الوثائق خلال العقود الوسطى من القرن (١٤هـ/٢٠م) يلحظ رخص الأسعار لكل البضائع والسلع. ومنذ منتصف التسعينيات في القرن (١٤هـ/٢٠م) تضاعفت الأسعار بسبب تحسن دخل الفرد، وتطور النمو الاقتصادي الذي عاشته البلاد السعودية خلال حكم الملك خالد بن عبد العزيز آل سعود (١٣٩٦-١٤٠٢هـ / ١٩٧٦-١٩٨٢م). وتاريخ منطقة عسير أو بلاد السروات منذ منتصف القرن (١٤هـ/٢٠م) إلى نهاية العقد الأول من القرن (١٥هـ/٢٠م) من الموضوعات الجديدة التي تستحق أن تدرس في عشرات الكتب والرسائل العلمية.

(٢) هذا ما سمعته من بعض كبار السن الذين عاصروا أيام القحط والجفاف والجوع في القريتين وما جاورها من قرى محافظة النماص. تاريخ تلك العقبات من الموضوعات التي تستحق أن تدرس في عدد من الدراسات العلمية.

(٣) هذا ما رواه لي بعض رجال القريتين الذين عاصروا معظم العقود الوسطى والأخيرة من القرن (١٤هـ/٢٠م).

والشرطة وغيرها^(١). والمدرسة السعودية الابتدائية أسست في مدينة النماص عام (١٣٥٩هـ/١٩٣٩م)^(٢)، ثم تلاها مدارس كثيرة لجميع المراحل^(٣). وكان أبناء قرية آل رزيق يذهبون مشياً على الأقدام للدراسة في المدرسة السعودية بالنماص. والباحث واحد من أولئك الطلاب الذين درسوا في بلدة النماص مراحل التعليم الأولى (الابتدائية، والمتوسطة، والثانوية)، وتخرج في الثانوية العامة عام (١٣٩٦هـ/١٩٧٦م). وأذكر أنني كنت أذهب مع أبناء قرية والدي (آل رزيق) خلال الثمانينيات وعددنا حوالي (١٠ - ١٥) طالباً، وكنا نعاني من تعب الطريق فلا مواصلات نستخدمها، وفي فصل الشتاء يشد البرد، وتسقط الأمطار، ويخيم الضباب على أهل البلاد فيواجهون الكثير من المتاعب والأمراض^(٤). وفي التسعينيات تحسنت أوضاع الناس، وتزايدت السيارات والدراجات النارية وصار أبناء القرى القريبة من بلدة النماص، مثل قرية آل رزيق وغيرها، يجدون بعض المواصلات التي تقلهم إلى مدارسهم^(٥).

أما قرية والدتي (آل مقبول) فلا يوجد فيها مدرسة حكومية خلال السبعينيات، والمدرسة الوحيدة القريبة منها هي مدرسة الأشعب التي تأسست عام (١٣٧٣هـ/١٩٥٣م)^(٦)، وتقع في قرية الأشعب شرق قرية آل مقبول، والمسافة بين القريتين حوالي (٢ - ٣) كيلومتر. وكان هناك طلاب كثيرون يذهبون من قرية الوالدة (آل مقبول) إلى مدرسة الأشعب، ومن أوائلهم: عبد الرحمن بن محمد الأفتل، ومحمد بن مناع بن عمرة، وعلي بن حسن بن يح،

(١) للمزيد عن نشأة المؤسسات الإدارية في مدينة النماص وتطورها، انظر: غيثان بن جريس. دراسات في تاريخ وحضارة جنوبي البلاد السعودية. (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٢٤هـ/٢٠١٣م) (الجزء الأول والثاني)، ج ١، ص ٥٥ - ٧٠.

(٢) للمزيد عن بدايات التعليم في محافظة النماص، انظر: غيثان بن جريس. تاريخ التعليم في منطقة عسير (١٣٥٤ - ١٣٨٦هـ/١٩٣٤ - ١٩٦٦م) (جدة: دار البلاد للطباعة والنشر، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م) (الجزء الأول)، ص ٦١ - ٦٣.

(٣) يوجد في محافظة النماص اليوم (١٤٣٩هـ/٢٠١٨م). (١٨٦) مدرسة، منها (٩٥) للبنين، و(٩١) مدرسة للبنات، ويدرس فيها حوالي (١١٨٠٠) طالباً وطالبة، و(٢٧٠١) معلماً ومعلمة، بالإضافة إلى بعض الرياض الحكومية والخاصة. وبعض الكليات العلمية والأدبية التي يوجد فيها عدد من الأقسام الأكاديمية، وكلية للتقنية، ومعهد مهني. وأقول إن تاريخ التعليم العام والعالي في محافظة النماص من الموضوعات الجديدة ويستحق أن يكون عنواناً لكتاب أو رسالة علمية.

(٤) تاريخ الطب والأمراض التي كانت تصيب الناس في محافظة النماص خلال النصف الثاني من القرن (٢٠هـ/٢٠م) من الموضوعات الجديدة ويستحق أن يدرس في بحوث عديدة.

(٥) تاريخ النقل خلال القرن (٢٠هـ/٢٠م) في بلاد السروات من الموضوعات الجديدة، ويستحق أن يكون عنواناً لكتاب أو رسالة علمية.

(٦) للمزيد انظر: غيثان بن جريس. تاريخ التعليم في منطقة عسير، ج ١، ص ٦٥.

وفائز بن ظافر المثرمد وغيرهم^(١). وفي عام (١٣٩٢هـ/١٩٧٢م) أنشئت مدرسة سعد بن أبي وقاص في قرية آل مقبول، وصار أبناء القرية وما جاورها من القرى مثل: آل سكوت، وصدريد، وآل غوالة، وآل غيهب يدرسون بهذه المدرسة. أما الطلاب الأوائل الذين درسوا في مدرسة الأشعب فقد التحقوا بمعهد المعلمين في مدينة النماص ودرسوا به ثلاث سنوات ثم عادوا مدرسين في مدرستي الأشعب وسعد بن أبي وقاص وغيرها من المدارس الابتدائية في المنطقة الممتدة من سروات النماص إلى بلاد عمرو الشام^(٢).

كان مدارس السعودية في النماص، والأشعب، ثم سعد بن أبي وقاص في قرية آل مقبول^(٣)، أثر إيجابي على سكان القرى القريبة من هذه المدارس، حيث انتشرت القراءة والكتابة بين أبناء هذه القرى. كما افتتحت مدارس ابتدائية ثم متوسطة للبنات^(٤). وأصبح في كل أسرة من يقرأ ويكتب منذ التسعينيات، تخرجوا في هذه المدارس المحلية طلاباً وطالبات التحقوا بالجامعات وكليات التعليم العالي في أبها، وجدة، والرياض، ومكة المكرمة^(٥). كما عمل في هذه المدارس الأولية بعض المدرسين الوافدين من دول عربية أخرى كالأردن، وفلسطين، ومصر، والسودان، والعراق، وكان لهؤلاء المعلمين آثاراً إيجابية على طلاب المدارس، وعلى سكان القرى، حيث كان بعضهم على علم واسع في علوم اللغة والشريعة، بل كان منهم من يقوم على أنشطة علمية وتربوية مختلفة تصقل عقول الطلاب وسلوكياتهم في شتى الميادين^(٦). وإذا توقفنا مع المواد التي تدرس

- (١) جميع هؤلاء الطلاب من قرية آل مقبول، وما زال بعضهم على قيد الحياة إلى الآن، وهناك طلاب آخرون كثيرون من القرى المجاورة لقرية آل مقبول وكلهم درسوا في مدرسة الأشعب من السبعينيات إلى التسعينيات. وهؤلاء المعلمون الأوائل يستحقون أن يصدر عنهم بعض الدراسات التي توضح جهودهم في نشر العلم في بلادهم.
- (٢) تاريخ التعليم النظامي في محافظة النماص خلال النصف الثاني من القرن (١٤هـ/٢٠م) من الموضوعات الجديدة ويستحق أن يدرس في كتاب أو رسالة علمية.
- (٣) لم يكن في قرية والدي (آل رزيق) مدرسة أو مؤسسة تعليمية، وأيضاً جميع قرى قبيلة بني جبير التي ينتمي لها الباحث، وذلك لقرىها من مدينة النماص التي يوجد بها جل المؤسسات التعليمية. واليوم يوجد في قرية الخاضرة التابعة لقبيلة بني جبير مدرسة محمد بن عبد الوهاب الابتدائية.
- (٤) نشأ تعليم البنات النظامي في المملكة العربية السعودية في الثمانينيات، ثم انتشرت مدارس البنات في أنحاء البلاد، وقد حظيت بلدة النماص بمدرسة ابتدائية للبنات في عام (٨٣ - ١٣٨٤هـ/٦٣ - ١٩٦٤م).
- (٥) تاريخ التعليم العالي في محافظة النماص، أو طلاب وطالبات هذه المحافظة الذين التحقوا بالجامعات والكليات في المملكة أو خارجها من الموضوعات الجديدة، ويستحق أن تدرس في عدد من البحوث.
- (٦) عاصر الباحث بعض هؤلاء المعلمين الوافدين ودرس على يد كثير منهم، وأيم الله لقد كان بعضهم على علم وخلق وأدب رفيع، واستفاد الطلاب منهم معارف وثقافات جمة. ومن خلال جولاتي في بلاد تهامة والسراة خلال الأربعين عاماً الماضية، وتدوين عدد من الكتب والبحوث في تاريخ وحضارة هذه البلاد الجنوبية العربية تبين لي فضل المعلمين الوافدين، فلقد قدموا للبلاد وأهلها أفضالاً كثيرة وبخاصة في ميادين المعرفة والثقافة والأدب والأخلاق. وأمل من الجامعات السعودية المحلية أن تؤسس مراكز علمية بحثية تدرس أثر أولئك المعلمين والمربين على البلاد والعباد، ولا مانع أن تذكر بعض السلبيات أيضاً ربما صدرت من بعضهم.

في تلك المدارس، فكانت تشمل كتب القراءة، والإملاء، والتعبير، والخط^(١)، والحساب (الرياضيات)، وعدد من العلوم الشرعية: كالقرآن، والتوحيد، والفقه، والتجويد، والتفسير. وهناك مواد تدرس الرسم (التربية الفنية)، والرياضة. ووجدت لجان عديدة تشرف على الرحلات، وعلى الأنشطة الاجتماعية كالمسرح المدرسي واللقاءات الاجتماعية وغيرها، وأنشطة ثقافية أخرى تتبنى المواهب وتصلها^(٢).

وقبل وأثناء ظهور المدارس النظامية في النماص، والأشعب، وآل مقبول كان هناك مجتهدون محتسبون يقومون على تعليم الناس القراءة، وإرشادهم إلى أمور دينهم. وبعضهم من أهل القريتين (آل مقبول، وآل رزيق)، وآخرون من خارجها. ففي قرية آل مقبول حبيب القرني، وصالح الفقيه^(٣)، وظافر بن سعيد الملقب بـ (المثرم) ^(٤)، وجميعهم عاشوا في النصف الثاني من القرن (١٤هـ/٢٠م)، وكانوا يصلون بالناس في القرية الجمع والجماعات، ويعقدون أنكحتهم، ويذكرونهم بالله، ويبدو أن مستواهم التعليمي كان بسيطاً، وحصيلتهم من العلم قليلة، إلا أنهم يسدون حاجات الناس الضرورية.

وقرية آل رزيق أقل حظاً من قرية آل مقبول فلا نجد أعلاماً جاءوا إليها لتعليم الناس، وكان حسن بن محمد بن صوان، أحد رجالات القرية، هو الذي يصلي بالناس في الجمع والجماعات^(٥). ونجد عبد الرحمن بن شيبان، الذي صار قاضياً فيما بعد بالنماص، كان يرتاد قرية الخاضرة المجاورة لقرية آل رزيق، لوجود بعض قرابته فيها. وهذا العلم درس في بلدة البرك في تهامة، وتعلم على أيدي علماء عديدين في جنوب الجزيرة العربية، إلا أننا لا نجد له أثراً علمياً وثقافياً على سكان قبيلة بني جبير التي تنتمي لها قرية آل رزيق^(٦).

(١) للأسف إن التعليم اليوم لا يركز كثيراً على أهمية الخط عند الطلاب، وبالتالي فإنني أشاهد كثيراً من الطلاب وبعض الأساتذة في التعليم العام والعالي وخطوطهم رديئة يصعب قراءتها، وهذا يعود إلى عدم التدريب والاهتمام بهذا الجانب في مراحل التعليم الأولية.

(٢) هذا ما عرفناه وعاصرناه أيام مراحل الطلب في المراحل الابتدائية والمتوسطة والثانوية في بلدة النماص منذ عام (١٢٨٤ - ١٣٩٦هـ/١٩٦٤ - ١٩٧٦م).

(٣) لم أجد ترجمة لحبيب القرني وصالح الفقيه، إلا أن الأخير من قرية عاكسة الواقعة إلى الجنوب من قرية آل مقبول، والتابعة لقبيلة كعب. أما حبيب فالمعروف أنه من قبائل بلقرن، وهذا ما عرفناه من اسمه، لكن لا ندري هل هو من السراة أو تهامة، وهذه المعلومات من شيخ قبيلة بن كريم مشرف بن عبد الله بن سكوت في (١٤٣٩/٥/١٢هـ).

(٤) ظافر المثرم من أجداد الباحث لأمه، وقد أدركته وهو يصلي بالناس ويخطب بهم صلاة الجمعة.

(٥) موقع قرية آل رزيق أفضل من قرية آل مقبول، وقربها من مركز النماص ربما أثر عليها، فلا يرتادها علماء أو طلاب علم، وعلى أهل القرية أن يذهبوا إلى بلدة النماص وبها محكمة شرعية ومدرسة ومن لديه علم وثقافة، ومن ثم يحصلون على ما يرغبون معرفته معرفياً وعلمياً.

(٦) للمزيد عن القاضي عبد الرحمن بن شيبان، انظر: غيثان بن جريس، من رواد التربية والتعليم، ص ٤٨٤، المؤلف نفسه، القول المكتوب في تاريخ الجنوب (عسير أنموذجاً) (الرياض: مكتبة الغبيكان، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م). ص ١٥٢ - ١٥٣، ١٦٨.

ويذكر لي بعض كبار السن أنه كان يرتاد قرى بين جبير بما فيها قرية آل رزيق معلمون مرسلون من الشيخ عبد الله القرعاوي^(١)، فيجمعون بعض الطلاب وأحياناً كبار السن ويعلمونهم قراءة الفاتحة وبعض السور الصغيرة، ومن طلاب الشيخ القرعاوي الذين اشتغلوا بالتعليم غير النظامي في قريتي الخاضرة وآل رزيق عبد الله بن مبشر من سكان قرية الخاضرة^(٢). وذكر لي والدي وأخي محمد (رحمهما الله) أن ابن مبشر جمع بعض شباب ورجال قرية آل رزيق في منزل آل شباب بالقرية^(٣)، وقام على تدريسهم عدة أسابيع، ومعظم هؤلاء الطلاب تعلموا سورة الفاتحة، وبعض التعاليم الشرعية الأخرى. كذلك الأستاذ ظافر بن سعيد (المثمد) في قرية آل مقبول من الطلاب الذين تعلموا على يد بعض المعلمين المرسلين من الشيخ القرعاوي^(٤).

وأذكر في ثمانينيات وتسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) أنه كان يتوقف في مسجدي قريتي آل رزيق وآل مقبول وغيرها من القرى بعض الأساتذة اليمنيين، الذين عندهم شيء من العلوم الشرعية، فيصلون مع الناس، ويحدثونهم في بعض أمور دينهم كالصلاة، والصيام وغيرها. ولا أعلم مقدار علومهم وثقافتهم الشرعية، إلا أنه يبدو من حديثهم أنهم على دراية حسنة بالقرآن وبعض العلوم الشرعية^(٥). وهناك دعاة يمنيون استوطنوا محافظة النماص منذ العقود الأخيرة. في القرن (١٤هـ/٢٠م)، وما زال بعضهم إلى اليوم، كانوا يتجولون في القرى والأسواق الأسبوعية ويلقون على الناس كلمات وعظية يذكرونهم فيها بالجنة والنار، والخوف من الله، وما يجب على المسلم تجاه ربه ودينه^(٦).

ونجد أن التعليم والتعلم في محافظة النماص تطور منذ نهاية التسعينيات في القرن (١٤هـ/٢٠م)، وبداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، فأصبح هناك عشرات المدارس ليس في

(١) الشيخ عبد الله القرعاوي من مواليد بلدة عنيزة في القصيم عام (١٣١٥هـ/١٨٩٧م)، جاء إلى جنوب الجزيرة العربية وفي منطقة جازان تحديداً، ثم عمل على نشر العلم في عموم بلاد تهامة والسراة. وهذا العلم يستحق أن يكتب عنه عدد من الدراسات العلمية الموثقة. انظر: غيثان بن جريس. تاريخ التعليم في منطقة عسير، ج١، ص ١٦٢-١٦٩.

(٢) الأستاذ عبد الله بن مبشر من الرجال الفضلاء المشهود لهم بالاستقامة وحسن الخلق، عاش حتى بداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م).

(٣) منزل آل شباب قريباً من بيت والدي، فلا يبعد عنه إلا (٥٠ - ٧٠م).

(٤) رحم الله الشيخ القرعاوي الذي أرسل طلابه إلى معظم مناطق تهامة والسراة من أجل تعليمهم القرآن وبعض شرائع الإسلام.

(٥) الصلات العلمية والثقافية بين أهل اليمن وسكان تهامة والسراة خلال القرون الماضية جديدة بالبحث والدراسة، وأمل أن نرى بعض طلابنا في برامج الدراسات العليا في قسم التاريخ بجامعة الملك خالد فيتولون هذا الموضوع بالبحث والدراسة.

(٦) هؤلاء الدعاة ظهوراً في عموم بلاد تهامة والسراة، وجهودهم في الدعوة إلى الله من الموضوعات التي تستحق أن تبسط في كتاب أو رسالة علمية.

بلدة النماص وإنما في عموم المحافظة الممتدة من بلدة تومة جنوباً إلى بلاد عمر الشام شمالاً. وتخرج في هذه المدارس (من المرحلة الابتدائية حتى الثانوية) مئات الطالبات والطلاب، ثم التحقوا بالعديد من القطاعات الحكومية العسكرية والمدنية، ومنهم من واصلوا دراساتهم الجامعية حتى تخرجوا أساتذة كباراً، أو قضاة، أو ضباطاً عسكريين، أو أطباء ومهندسون وغيرهم. ومن يتأمل اليوم في قريتي آل مقبول وآل رزيق أو غيرها من القرى في عموم محافظة النماص فإنه سوف يجد عشرات المتعلمات والمتعلمين الذين يحملون شهادات عديدة في تخصصات ومجالات علمية وفكرية وثقافية كثيرة^(١).

وإذا بحثنا عن الحياة الفكرية والثقافية في القريتين وجدناها متواضعة جداً في الثمانينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م)، فالتناس جميعاً لا يفكرون إلا في الحصول على قوتهم، وربما بعضهم، وهم قلة خرجوا إلى قرى وبلدان أخرى في منطقة عسير، أو الحجاز، ومنهم من عاد إلى بلاده بعد شهور أو سنوات. وكان سكان القريتين متوكلين على الله في جميع أمورهم، ولا يوجد بينهم من يحمل فكراً هداماً أو منحرفاً. وفي التسعينيات جاء إلى القريتين وغيرها من قرى السروات دعاة يستهدفون المساجد فيجلسون مع الناس، ويحدثونهم في بعض الأمور الشرعية، وكل الناس كانوا يستقبلونهم ويرحبون بهم، ومع مرور الزمن اقتنعوا بعض رجال القرى بالانضمام إلى فكرهم ودعوتهم، وقد انضم إليهم أفراد معدودون، وفي نهاية القرن (١٤هـ/٢٠م)، وبداية القرن (١٥هـ/٢٠م) نجد عدداً من هؤلاء الأفراد والدعاة مشاركين في ثورة جهيمان التي قام بها في الحرم المكي عام (٩٩-١٤٠٠هـ/٧٩-١٩٨٠م)^(٢). وأقول إن تلك الثورة لم تدرس أبعادها التاريخية والعقدية والثقافية والسياسية حتى الآن، والذين انضموا إليها من بلاد تهامة والسراة عدد غير قليل، ولا ندري هل ضلل بهم حتى انضموا لها، أم أنهم شاركوا في هذه الثورة بعد معرفة أهدافها ونواياها^(٣).

من خلال انتشار التعليم في محافظة النماص، ووفود بعض المدرسين من بلدان عربية عديدة، تسلل إلى أهل القرى وبخاصة الشباب بعض العادات في الأكل، أو اللباس، أو الأهازيج، أو الأغاني، أو الألعاب الرياضية التي شاهدها عند المعلمين الوافدين،

(١) الناظر في أي قرية من قرى محافظة النماص أو تهامة والسراة يجد أن التعليم وصل كل الناس وكل الأسر، وإن مؤسسات ومناشط التعليم والتعلم موجودة في كل قرية وبيت.

(٢) معاصرة الباحث لأحداث ثورة جهيمان، وسوف يكون لي حديث عنها في دراسة أخرى.

(٣) كانت حركة جهيمان تسعى إلى نشر الفوضى والرعب والقتل بين الناس. ومن يدرس التاريخ يجد فرقاً عديدة نهجت طريق القتل والدمار، ومازلنا نشاهد هذه التيارات والفرق المارقة في عموم بلاد الإسلام حتى اليوم، وهذه من الفتن التي ابتليت بها الأمة الإسلامية. وأمل أن نرى طالباً جاداً يدرس ثورة جهيمان، أسبابها، أهدافها، آثارها ونتائجها.

وهذا التأثير كان بسيطاً في الثمانينيات، ثم تزايد في التسعينيات وبدايات هذا القرن (١٥هـ/٢٠م). وبعض الرجال والشباب صاروا يقلدون الأساتذة الشاميين والمصريين في اللهجات، أو في لبس الخاتم في اليد، أو حمل المسبحة وغيرها^(١).

وعرف أهل القريتين ومن حولهم بعض الثقافات عن طريق الراديو فكان هناك بعض أرباب الأسر الذين جلبوا جهاز الراديو من أسواق القنفذة أو الحجاز، أو بعض الأسواق الأسبوعية الكبيرة في منطقة عسير^(٢). وقد شاهدت والدي وبعض أجدادي لوالدي وهم يقتنون جهاز الراديو الذي له أسلاك تمتد من الجهاز نفسه إلى عمود حديدي أو خشبي على سطح البيت، ثم ظهر أجهزة راديو صغيرة في التسعينيات، تلتقط موجات الإذاعة عبر أنبوبة من نفس الجهاز تمتد وتدخل في بعضها حسب رغبة السامع للراديو^(٣).

كما دخل جهاز التلفاز (الرأسي) إلى بعض بيوت محافظة النماص، وهناك أفراد مقتدرون مادياً في قريتي آل رزيق وآل مقبول، اشترتوا أجهزة تلفاز (أبيض وأسود) في منازلهم، ومعظم البرامج المعروضة آنذاك من إنتاج مصري، كالمسرحيات، والتمثيلات وبعض الأفلام الأجنبية، وبعض الرياضات كالمصارعة، ولعب كرة القدم والطائرة، وتلاوة القرآن، وأداء الصلوات من الحرمين الشريفين، وبرامج ثقافية واجتماعية أخرى^(٤).

ووجدت بعض الكتب الدينية والعربية عند بعض الأفراد والأسر منذ نهاية الثمانينيات، وفي التسعينيات أصبحت معظم البيوت لا تخلو من كتب علمية وثقافية، كما أن فيها طلاباً يدرسون في مراحل التعليم الأولى (الابتدائي، أو المتوسطة، والثانوية)، وربما في الجامعة^(٥). وعرف بعض أبناء القريتين الجرائد المحلية، وبعض المجلات، وربما جلب بعضهم أعداداً منها إلى منازلهم، واطلع عليها بعض أفراد الأسر^(٦). وقد

(١) هذا ما شاهدته عند بعض زملاء في المرحلة الثانوية (١٣٩٣هـ - ١٣٩٦هـ / ٧٢ - ١٩٧٦م)، وهذا التقليد تزايد حتى صار بعض النساء والرجال اليوم يقلدون أجناساً عديدة في العالم، ويصعب حصر ظاهرة التقليد في عشرات الصفحات. والتقليد الأعمى عند سكان تهامة والسراة منذ ثمانينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى وقتنا الحاضر من الموضوعات الكبيرة التي تستحق أن تدرس في بحوث عديدة.

(٢) هناك أسواق أسبوعية مشهورة في منطقة عسير مثل: سوق الثلاثاء في أبها، وسوق الخميس في خميس مشيط، وأسواق أخرى عديدة في أنحاء بلاد تهامة والسراة.

(٣) من يزور بعض المتاحف الشعبية في محافظة النماص يشاهد نماذج من تلك الأجهزة المستخدمة في النصف الثاني من القرن (١٤هـ/٢٠م).

(٤) هذا ما شاهدته الباحث في بعض منازل القريتين في بداية التسعينيات، ثم تزايدت أجهزة التلفاز حتى أصبحت موجودة في معظم البيوت بحلول عام (١٤١٠هـ/١٩٩٠م). وتاريخ الثقافة في محافظة النماص من الموضوعات الجديدة التي يجب دراستها خلال القرن (١٤هـ/٢٠م).

(٥) نعم في نهاية القرن (١٤هـ/٢٠م) أصبح هناك شباب من القريتين يدرسون في مراحل تعليم مختلفة، ومنهم المعلمون الذين تخرجوا في معهد المعلمين في النماص، ثم صاروا يدرسون في مدرسة الأشعب وغيرها.

(٦) هذا ما شاهدته الباحث عند بعض أسر القريتين في التسعينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م).

شاهدت في القريتين بعض الرواة الذين يحفظون بعض الحكم، والأشعار الشعبية، أو الأحاجي، أو القصص، أو الأمثال، أو الأغاني والأهازيج المحلية، فهم يسردونها في بعض مجالس السمر أو اللقاءات الاجتماعية العامة والخاصة في القريتين. وكان من أولئك الرواد، عمي محمد بن عبد الرحمن الملقب باسم (أبومارق) في قرية آل رزيق^(١)، ومناع بن عمرة في قرية آل مقبول^(٢).

ومن ثقافات سكان القريتين وما حولها من القرى تبادل الأخبار فيما بينهم، وبخاصة الرجال الذين يسافرون إلى بلدات ومدن أخرى خارج قراهم، أو يترددون على الأسواق الأسبوعية في منطقة عسير، أو من يذهب منهم للعمل في مدن الحجاز الكبرى، أو في بعض قرى تهامة والسروات، فعند عودتهم إلى أوطانهم يروون لأهلهم وسكان قراهم ما قابلوا في رحلاتهم، وما شاهدوا من مناظر طبيعية أو أخبار اجتماعية. وهناك من يذهب إلى الحج، وأهل القرية يودعونه، وعند عودته يستقبلونه بالفرح والسرور، ثم يسألونه عن رحلته وما واجه في طريقه، وهو الآخر لا يتردد أن يروي ما رأى أو سمع أو عرف. ومن عادات رجال القرية عندما يخرج الواحد منهم من بيته لعمل ما، أو زيارة صديق فعليه أن يخبر من يستقبله في ذهابه أو عند عودته ما تم إنجازه، أو تحقق أو شاهد في رحلته^(٣).

٦. خلاصة القول :

لا ندعي أننا دوننا كل شيء في هذه الذكريات أو المشاهدات التي عشناها في القريتين حوالي سبع عشرة سنة، لكننا أشرنا إلى كثير منها. وقرينا آل مقبول وآل رزيق نموذج مصغر لجميع القرى المتناثرة في بلاد تهامة والسراة. ومن يتجول في هذه البلاد اليوم فإنه يشاهد آلاف القرى القديمة التي احتضنت حياة الناس وتعايشهم من أراض زراعية، وجبال، وأودية، وأحمية وغيرها مندثرة في طبيعتها، ومهجورة من ساكنيها أو القائمين عليها، بل إن بعض أراضي القرى وما حولها لم تسلم من اعتداءات

(١) العم محمد أبومارق أخو والدي من الأم، وما زال على قيد الحياة، وتجاوز عمرة المئة، ولديه حافظة جيدة، ويحفظ الكثير من القصائد الشعبية التي سمعها من الأوتل، ويروي قصصا محلية عرفها أو سمعها من بعض الرواة. وهو الآن يعاني من أمراض عديدة، نسأل الله له الصحة والعافية، كما نسأله تعالى أن يحسن لنا وله الخاتمة.

(٢) مناع بن عمرة العمري من قرية آل مقبول مات في العقد الثاني من القرن (١٥/٢٠م)، وكان متحدثا جيدا، ويحفظ بعض القصص والأخبار التي شاهدها أو سمعها في بلاده وفي أسفاره إلى الحجاز وغيرها. والشيخان أبومارق ومناع أنموذجا من الأعلام الذين عاشوا في بلاد السروات خلال القرن الرابع عشر الهجري، وسنوات من هذا القرن (١٥/٢٠م).

(٣) هذه العادة سائدة عند سكان تهامة والسراة، وما زال كبار السن يمارسونها حتى اليوم. وقد شاهدت والدي أو من يزوره يحرصون على ممارسة هذه العادة التي كانت مأثوفة وممارسة عند معظم سكان القرى.

البشر فقطعوا أشجارها، وهدموا بيوتها وحصونها ومرافق أبنيتها المختلفة، ومنهم من تركها وذهب إلى أمكنة غيرها، وآخرون أقاموا عليها أبنية ومشاريع عمرانية مسلحة، والمشكلة الكبرى التي حلت بالأرض هو فقدان جمالها الطبيعي الذي تحلت به في الماضي، فأصبحت كالحة مشوهة في شكلها ومضمونها^(١).

وقريتا آل زريق وآل مقبول صارتا خاويتين مهدمتين مهجورتين، إلا من قلة قليلة من أهلها الذين لا يمتلكون المال الكافي، فيتركون منازل آبائهم وأجدادهم، ويؤسسون لهم مواطن جديدة تواكب عصر الحداثة التي تعيشها البلاد في وقتنا الحاضر. وهذا لسان الحال لجميع القرى القديمة في جنوب المملكة العربية السعودية. وأقول إن تاريخ هذه القرى البشري والطبيعي أمانة في أعناقنا نحن أعلام سكان هذا العصر، فالواجب على مؤسساتنا التعليمية العامة والعالية، وعلى عقلائنا، وصناع القرار في بلادنا أن يلتفتوا لتلك الحضارة التي عاشتها هذه المستوطنات البشرية فيجمعوا تراثها وتاريخها، وإذا فعلنا ذلك، فإن أجيالنا القادمة سوف تذكرنا بخير لأننا حفظنا لهم موروث السابقين من الآباء والأجداد^(٢).

وما زلت أسدي النصح لنفسي ولكل مؤرخ وباحث جاد ومنصف، أو لكل من يستطيع أن يخدم أهله وبلاده أن لا يبخل في هذا الباب، ويعمل ويحتسب ما يحفظ من تراث وحضارة ديرته ومسقط رأسه، وهذا ليس عنصرية أو تعصبا، وإنما ذلك وفاء وحب للأوطان، ثم إنه أفضل من غيره، لأنه يعرف عن بلاده وأهله ما لا يعرفه الآخرون. وكما يقول المثل (جحا أولى بلحم ثوره). ومن يتوقف مع حضارة وطنه الصغير فإنه سوف يجد مجالات علمية، واقتصادية، واجتماعية، وإدارية، وثقافية وتعليمية ولغوية وغيرها جديرة بالاهتمام والبحث^(٣).

(١) سافرت وتنقلت في أرجاء بلاد تهامة والسراة خلال الثلاثين سنة الماضية، وعرفت أجزاء كثيرة من هذه البلاد خلال العقود الأخيرة من القرن (١٤هـ/٢٠)، فوجدت فيها تحولات بشرية وطبيعية كبيرة، فالنتمية العمرانية والتعليمية والصحية وغيرها سادت البلاد، لكن طبيعة الأرض لحقها الكثير من الخراب والدمار، وصار القديم محاربا من الإنسان، معتقداً أنه يترقى في سلم الحضارة، وللأسف إنه يدمر حضارة الأوائل الجميلة والقيمة في شكلها ومضمونها، وبهذا الفعل فهو يقضي على الكثير من القيم والأعراف والمبادئ السامية التي عاشها الآباء والأجداد.

(٢) للأسف إن جامعاتنا المحلية غير مكترثة لما ننادي به منذ عقود، فهي تبذل قصارى جهودها داخل أسوارها، مع أن عليها مسؤوليات كبيرة تجاه العباد والبلاد التي من حولها، فلا تدرس وتحفظ تراثها الحضاري والثقافي والفكري، ولا تسعى إلى ربط الماضي مع الحاضر والمستقبل، ولا توجه وتدعم وتشجع ما يصب في خدمة البلاد والمجتمع في شتى الجوانب.

(٣) هذا النداء أنشره بين طالباتي وطلابي في برامج الدراسات العليا، وأوصي به الزملاء والباحثين في مجالات عديدة منذ أربعين سنة، وأسأل الله أن يقدرنا لفعل الخير، وأن يصلح النية، ويجعل جميع أعمالنا خالصة لوجهه الكريم.